أسّسها أ. لويس خليفة (†)
سنة ١٩٩٠

رئيس التحرير:
أ. أيّوب شهوان

أسرة التحرير:
الأب غابي أبو سمرا
الأرشمندريت نيقولا أنتيبا
الأباتي بولس تنّوري
الأب أسعد جوهر
السيّدة ماري عطاالله خليفة
الأب جورج خوّام
الأخت باسمة الخوري
الخوري نعمةالله الخوري
الأب لويس خوند
الأخت ماري-لويز شهوان
الأب نجم شهوان
الخوري جان عزّام
الأب أنطوان عوكر
الخوري يوسف فخري
الخوري بولس الفغالي
الأب هادي محفوظ
الخوري أنطوان مخائيل
المطران بطرس مراياتي
الخوري جوزف نقّاع

جميع الحقوق محفوظة

مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس - الكسليك
ص.ب. : ٤٤٦ جونيه - لبنان
تلفون : ٥-٠٩/٦٤٠٦٦٤
فاكس : ٠٩/٦٤٢٣٣٣

الصف الإلكتروني، الإخراج، فرز الألوان:
مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس - الكسليك

الطباعة:
المطبعة البولسيّة - جونيه (لبنان)

في هذا العدد

الافتتاحيّة: رسالة بولس إلى أفسس وأهم مواضيعها — الأب أيوب شهوان ٢
إلى من، ومتى، وأين كُتبت الرسالة إلى الأفسسيّين؟ — الأخت ماري لويز شهوان ٥
نشيد رسالة أفسس (أف ١:٣-١٤) — الأب أنطوان عوكر ١١
صليب المسيح: صانع السلام بين اليهود والأمم (أف ٢:١١-٢٢) — د. جوني عوّاد ١٦
إعلان السرّ المسيحاني في أف ٣:١-١٣ — د. دانيال عيوش ٢١
القيامة والمصالحة (أف ٣:١-٢٢) — الأب نجم شهوان ٢٥
صلاة على الطريقة الرسوليّة (أف ٣:١٤-٢١) — الأب جورج خوام ٣٢
الإتّشاح بالطبيعة الجديدة (أف ٤:٢٣-٢٤) — الأب لويس خوند ٣٦
أحبّا بعضكما حبّ المسيح والكنيسة (أف ٥:٢٢-٢٣) — الخوري شوقي كرم ٤٤
الحياة الجديدة في المسيح (أف ٤:١٧-٢٤) — الخوري إيلي طوبجي ٥٠
أفرام السرياني والرسالة إلى أفسس — الخوري بولس الفغالي ٥٤
تقرير عن كتاب الأب هادي محفوظ — الخوري بولس الفغالي ٥٦
عظات في الرسالة إلى أفسس: يوحنا الذهبي الفم — الخوري بولس الفغالي ٥٧
تقرير عن كتاب د. طوني معلوف — د. دانيال عيوش ٦٠

ثمن العدد
في لبنان : ٥٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٨٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)
في لبنان : ٢٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٣٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

العنوان
كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس - الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه - لبنان
فاكس: ٠٩/٦٤٢٣٣٣
هاتف: ٠٩/٦٤٠٦٦٤ المقسّم ١١٥

الافتتاحية

رسالة بولس إلى الأفسسيّين وأهم مواضيعها

الأب أيوب شهوان

مقدمة

كما هي العادة في رسائل بولس، تتضمن الرسالة إلى أفسس قسمين: الأول (١:٣ – ٣:٢١)، هو عبارة عن صلاة تشفُّع مطوّلة على طريقة الأدبَين التقويّ اليهودي، والمسيحي الأقدم، أي: مباركة، فعل شكران، صلاة تشفُّع، وفعل تمجيد ختامي؛ أما الثاني (٤:١ – ٦:٢٠) فيحضّ المسيحيين على سلوك يتماهى مع حالتهم الممجّدة كأبناء النور وكأعضاء الكنيسة، أبناء بيت الله، وكعروس المسيح. وإذا ولجنا إلى عمق الرسالة ومنعطفاتها، تبيّن لنا أنها، في قسميها، تزخر بمواضيع لاهوتية وخُلقيّة هامة، نعرض في ما يلي أهمّها:

١ – الكنيسة

لقد أعدّ الله تصميماً خلاصياً، من «قبل إنشاء العالم» (أف ١:٤)، ليجمع شمل أبنائه المشتّتين (يو ١١:٥٢). الكنيسة هي إذاً بمثابة سرّ ظلّ مكتوماً في الله منذ الأزل، وقد كشف الآن عنه، ولكنه تحقق جزئياً (أف ١:٩ – ١٠؛ روم ١٦:٢٥ – ٢٦). إنها امتداد لجسد المسيح، فيها يجد الإنسان النور والغفران والنعمة «للتسبيح بمجد الله» (أف ١:١٤). هذه الكنيسة التي خلقها الله، وأسسها المسيح بالمعمودية (رج أف ٥:٤)، وصارت جسده (٣:٦)، تتغذى من خبز واحد (١ كو ١٠:١٧)، ويحييها الروح الحال فيها (أف ٢:٢٢؛ ١ كو ٣:١٦)، ويقودها (يو ١٦:١٣)؛ هي التي تجمع في شعب واحد (غل ٣:٢٨) أبناء الإله الواحد والأب للجميع (أف ٤:٦)، مزيلةً الحواجز بين الناس، ومصالحةً اليهود والوثنيين (٢:١٤ – ١٦)، لتكون «كنيسة مقدسة» (٥:٢٦ – ٢٧) لله.

في أف إذاً، تبرز الكنيسة على أنها ظاهرة شاملة وكونية، امتداداً وتأثيراً، وتضم كل الخليقة (١:٢١ – ٢٣؛ ٣:٩ – ١١)، في حين أنه في رسائل بولس المثبتة تهيمن فكرةُ أنها جماعة محلية (رج ١ كو ١:٢؛ غل ١:٢؛ فلم ٢؛ أنظر بالمقابل ١ كو ١٢:٢٨؛ ١٥:٩؛ غل ١:١٣، لتكوين فكرة أوسع عن الكنيسة)، «المبنية على أساس الرسل والأنبياء». في ١ كو ٣:١١، ينظر بولس إلى المسيح على أنه الأساس الوحيد للكنيسة. إن الفكرة القائلة بأن المسيح هو رأس الكنيسة، التي هي جسده (أف ١:٢٢ – ٢٣؛ ٥:٢٣)، هي توسيع ذات مدلول يتخطّى صورة مختلف الأعضاء الذين يكوّنون جسد المسيح، كما في ١ كو ١٢:٣١؛ روم ١٢:٤ – ٨.

من المحتمل أن تكون أف، أكثر من أي مؤلف آخر في العهد الجديد، تركز على هوية الكنيسة، القائمة على ما حققه الله بالمسيح (رج ٣:١ – ١٤).

٢ – الأمم

تشكل دعوة بولس إلى أن يكون إناءً مختاراً للرب، أداةً هامّةً جداً بالنسبة إلى الكنيسة الأولى ليحمل البشرى السارة إلى الأمم (أع ٩:١٥؛ ٢٢:١٥ و٢١؛٢٦:١٧). مع هذا اعتاد بولس أن يبشّر اليهود أولاً ثم الأمم، الذين لم ينتقل اليهم إلاّ عندما يصطدم برفض اليهود (أع ١٣:٤٥ – ٤٧؛ ١٨:٥ – ٦؛ ١٩:٨ – ١٠). بالمقابل هو يبيّن بوضوح وضع الأمم بالنسبة إلى الإنجيل، ويؤكد أنهم في الماضي خطئوا مثل اليهود (روم ١:٢٤ – ٣٢)، لكن الله يريد أن يرحمهم أسوةً باليهود، شرط أن يؤمنوا بالإنجيل (١:١٦؛ ٣:٢١ – ٣١؛ ١٠:١٢). هكذا تتحقق وحدة البشرية بالمسيح، ولم يعد هناك بالتالي يهودي ويوناني (غل ٣:٢٨)، إذ تصالح اليهود والوثنيون منذ أن سقط «جدار العداوة» الذي كان يفصل بين الاثنين، وصاروا يكوّنون بناءً واحداً، حجر الزاوية فيه المسيح، وجسداً واحداً رأسه المسيح (أف ٢:١١ – ٢٢). هذا ما تركز عليه الرسالة إلى أفسس.

ليست الجدالات حول قبول الأمم في الجماعة المسيحية من اهتمامات واضع الرسالة إلى أف. فهو لا ينظر إلى ارتداد الأمم كوسيلة لجعل اسرائيل يغار، فيعود يوماً إلى وضعه الصحيح، كما في روم ١١. بدلاً من هذا الأمل بإعادة بناء إسرائيل مستقبلاً، نجد في أف أن اليهود والأمم معاً قد «تصالحوا مع الله في جسد واحد بالصليب» (٢:١٦)، «وأصبحوا شخصاً جديداً واحداً بدلاً من اثنين» (٢:١٥)، بعد أن نُقِضَ «جدار العداوة الذي كان يفصل بينهما» (٢:١٤).

٣ – الزواج

يشدد يسوع في تعليمه على الطابع المطلق للزواج، وعدم قابليته للانفصام (مت ١٩:١ – ٩)، كون الله هو الذي يوحّد الرجل والمرأة، فإذا هما «جسد واحد»، يثبّت اتحادهما دمُ العهد الجديد (رج مت ٢٦:٢٨)، دم يسوع الذي يصير هو نفسه عريسَ الكنيسة. لذلك، فإن زواج مَن أضحوا بالعماد هياكل للروح القدس (١ كو ٦:١٩)، هو «هذا السر العظيم بارتباطه بسرّ اتحاد المسيح بالكنيسة» (أف ٥:٣٢).

في أف ٥:٢٢ – ٣١، تتعارض صورةُ الكنيسة على أنها عروسة المسيح، وفكرة الزواج المميزة، مع موضوع الزواج الوارد في ١ كو ٧:٨ – ٩، ٢٥ – ٤٠.

كما هي الحال في كولوسي، كذلك في أفسس، يخلق وجود الشرعة البيتيّة في أف ٥:٢١ – ٦:٩ معضلات خاصة في وجه تحديد المعنى اللاهوتي للرسالة التي تركز على العلاقة الزوجية (٥:٢٢ – ٣٣). ففي حين أن هذه العلاقة هي مدرجة بمعنى ديني من خلال المقارنة بين المسيح والكنيسة من جهة، وبين الزوج والزوجة من جهة ثانية، فإن العلاقات الهرمية في الزواج هي من دون شك معزّزة. ينبغي ألا يؤخذ الجمعُ بين المسيح والزوج بمعنى قد يُفهَم منه أن الزوج هو أكثر تماشياً مع ما هو إلهي من الزوجة التي هي صورة الجماعة الكنسية البشرية. ينبغي أن نلاحظ أن الزواج يعكس الطبيعة الحقة للعلاقة بين الإنسانية وبين الله.

في أف، تأخذ الخُلُقيّات البيتيّة المتعارف عليها مكانها في مستند يعكس معنى أقوى للشر في العالم، أكثر ممّا في كولوسي (رج أف ٢:١ – ٣؛ ٤:١٧ – ٥:٢٠). لا يمكن أن يُعبّر عن خلاص المؤمنين بتعابير أقوى. يركز واضع الرسالة إلى أف بشكل مباشر على عطيّة الله الخلاصية أكثر منه على مواضيع الاختيار والمصير (رج مثلاً ١:٣ – ١٤). في أف ٣:١٩ لدينا ما يمكن أن يكون التعبير الأقوى في العهد الجديد عن الرغبة في الاتحاد البشري مع الله. ففي حين أن فكرة الخلاص المستقبلي لا يمكن حجبها بأية طريقة (رج ١:١٣ – ١٤؛ ٦:١٣)، يجري الكلام على المؤمنين وكأنهم قد جلسوا بالفعل مع المسيح على مقاعد سماوية (٢:٦). تبشّر أف بإمكانية الجماعة الكنسية الإنسانية أن تشارك في المواطنية السماوية. إنها تُعدُ بالسماء عالماً تعذّبه قوى روحية شرّيرة (رج مثلاً ٢:٢).

٤ – المصالحة والوحدة

بهدف تعزيز المكاسب الروحية التي تلقاها المؤمنون من أصل وثني عبر انضمامهم إلى المسيح، تلفت أف الانتباه إلى

قيامة هؤلاء الروحية، وتمجيدهم مع المسيح في السماء، وخلاصهم بالنعمة، عبر **مصالحتهم** مع الله بموت المسيح، **«في جسد واحد»**.

- المصالحة

في العهد القديم، وعد الله شعبه بالمصالحة التامة معه بإظهار المسامحة التي بها كشف عن أنه «إله الرحمة والرأفة» (خر ٦:٣٤)، الذي «يتكلّم بالسلام لشعبه» (مز ٩:٨٥). لقد أتمّ يسوع المسيح، «الوسيط بين الله والناس» (١ تيم ٥:٢)، المصالحة الكاملة والنهائية، التي هي جانب واحد من عمل الفداء. إنها مصالحة الله لنا بالمسيح (٢ كو ١٨:٥)، وسر هذه المصالحة مرتبط بسرّ الصليب (رج أف ١٦:٢)، وبسر «المحبة العظمى» التي أحبّنا بها (٤:٢).

المظهر الأفقي لمصالحة اليهود والأمم، الواحد مع الآخر، بالمسيح، هو مُدرَج بقوة وموسّع في ١١:٢ – ٢٢. لقد دمّر المسيح بموته الشريعة التي كانت تسبب قيام «الحائط الفاصل» بين اليهود وبين الأمم، وخلق «إنساناً جديداً واحداً»، أي الكنيسة. هناك استعارات أخرى للكنيسة، على أنها تلك الوحدة الجديدة، وهي: البناء، البيت، الهيكل المقدس، عروس المسيح، والجسد، حيث يلتقي الجميع.

- الوحدة

تبدأ الوحدةُ بالإيمان بالله الواحد، مما يجعل المؤمن ينفتح على المحبة التي تربط الآب بالابن، والتي يشركه فيها الروح القدس (رج يو ٩:١٥؛ ٢٦:١٧؛ روم ٥:٥)؛ هذه المحبة، إذ تُتْحده بالله الواحد، تجعل منه شاهداً لها في العالم عندما يجمع كل البشر في الابن الوحيد (رج أف ٥:١ و١٠؛ روم ٢٩:٨).

إن سبب فقدان الوحدة عائد إذاً إلى نكران الله، وبالتالي إلى ارتكاب الخطيئة التي تحطّم وحدة الزواج (تك ١٩:٤؛ تث ١:٢٤)، والوحدة بين الإخوة (تك ٦:٤ – ٨ و٢٤)، والوحدة بين الناس (تك ٩:١١). ولأن أمر العودة إلى الوحدة أمسى عصياً على قدرة الناس، أرسل الله ابنه ليهدم الجدار الفاصل، ويوحد الجميع في جسد واحد (أف ١٤:٢ – ١٨) الذي هو الكنيسة (١ كو ١٢:٤ – ٢٧؛ أف ٢٢:١ – ٢٣)، جامعاً إياهم كالحجارة الحية في هيكل الله الواحد (أف ١٩:٢ – ٢٢؛ ١ بط ٤:٢ – ٥).

هكذا تعالج أف موضوع الوحدة انطلاقاً من المسيح وكنيسته، التي هي جسده، لتشمل فكرة المسيح الممجّد على أنه «**رأس**» «**الجسد**» بمعنى مجازي. وتوسع أف فكرة «الكنيسة» لتصل إلى اهتمام أوسع بالوحدة، حيث يستعمل بولس كلمة «كنيسة»، أي جماعة، ليدل على الكنيسة الجامعة، وليس على جماعة محلية. يمتد الاهتمام بالوحدة ليشمل أيضاً الكون بمجمله: المسيح هو «رأس» «كل شيء»، رأس وحدة كونية، هي الهدف الأخير لعمل الله في المسيح، الذي صار معروفاً بواسطة الكنيسة. إنه هدف الله، لأن «يختصر كل شيء» في المسيح على انه رأسها. لذا تبدو الكريستولوجيا والاكليزيولوجيا والإسكاتولوجيا مترابطة جداً في أف.

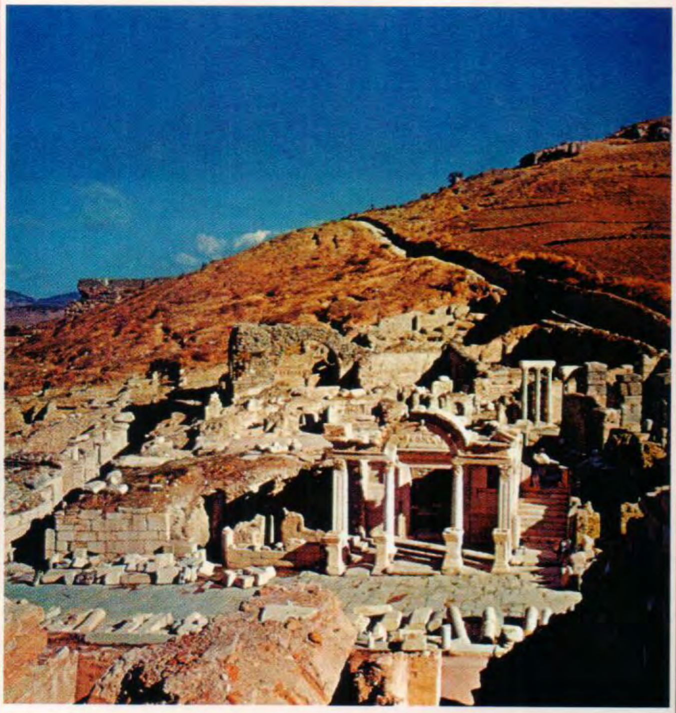

مرفأ أفسس، الذي نرى بقاياه في الصورة، كان مركزاً إدارياً وتجارياً للمقاطعة الرومانية في آسيا الصغرى، ومشهوراً بهيكل الإلهة الأفسسيّة أرتاميس (رج أع ٢٨:١٩)

إلى من، ومتى، وأين كُتبت الرسالة إلى الأفسسيّين؟

الأخت ماري لويز شهوان

المقدّمة:

كانت أفسس عاصمة ولاية آسيا، من أهمّ مراكز العالم اليونانيّ الرومانيّ القديم. وكانت مركز ثقل للبشارة المسيحيّة، وحقلاً خصبًا لانتشار إنجيل بولس لدى اليهود واليونانيّين.

وصل إليها بولس آتيًا من فريجيا نحو سنة ٥٢ في طريقه إلى أورشليم في نهاية جولته الثانية، كما جاء في أعمال الرسل: «ولَمّا انتهوا إلى أفسس، فارق بولس رفيقيه، ودخل إلى المجمع، وجادل اليهود. وسألوه أن يطيل إقامته، فأبى. على أنّه قال لهم، وهو يفارقهم: "سأعود إليكم ثانية، إن شاء اللّه". وأبحر من أفسس» (أع ١٨: ١٩-٢١). ثم عاد وهو في رحلته الثالة (٥٣-٥٦) واستقرّ فيها نحو ثلاث سنوات (راجع أع ١٩ و٢٠). من هناك أرسل بعضَ تلاميذه ليؤسّسوا كنائسَ آسيا، لكنّ كنيسة أفسس كانت من أهمّ وأكبر كنائس آسيا وتستحق أن يخصّصها برسالة موجّهة إليها مباشرة.

الرسالة، الموجّهة «إلى الأفسسيّين» هي معجم لاهوتي عميق، ومقالات تربط بين الفكر الكتابيّ – اليهوديّ والفكر الفلسفيّ – اليونانيّ. سُكبت نصوصُها سكبًا واحدًا بمنطق أفلاطونيّ. تبتدئ بنشيد ليتورجيّ طويل، يصلح أن يُدرج في كتب الطقوس الدينيّة، نشيد يغنّي فعل الآب والابن والروح: «تباركَ إلهُ ربّنا يسوع المسيح وأبوه الذي باركَنا بكلّ بركة... والذي اختارنا فيه قبل إنشاء العالم... وقد سبق بمحبّة فحدّدنا للتبنّي بيسوع المسيح... وقد سمعتم كلمةَ الحقّ، إنجيلَ خلاصكم وآمنتم، خُتمتم بالروح القدس الموعود» (أف ١: ٣-١٤). نشيد ثالوثيّ رائع جاء نصًّا واحدًا – أطول جملة في أناشيد العهد الجديد، تشيد بعمل اللّه الخلاصي.

رسالة شاملة، عامّة، لها طابع مسكونيّ، خلت من إشارات خاصّة ببولس أو بأهل أفسس، ولا سلام خاص لأحد، وكأنّها موجّهة إلى كنائس الأناضول. تَصلُح لأن تكون موجّهةً إلى «الكنيسة الجامعة» كما يسمّيها قانون الايمان. من هنا صعوبة معرفة الجماعة الموجَّهة إليها مباشرة وتاريخ كتابتها ومكان تدوينها. هذا ما نحاول أن نكتشفه من خلال مراجع استطعنا أن نطّلع عليها.

إلى مَن كُتبت هذه الرسالة؟

مَن هُم قرّاء هذه الرسالة؟ وكيف يتبرّر هذا العنوان؟ «الأفسسيّين» تذكرها جميع مخطوطات القرن الثاني، لكنّ النّصّ، لَم يُذكَر في أيّ مخطوط قبل القرن الرابع: فالبَرْديّ ٤٦ (٢٠٠)، المجلَّد السينائيّ (٣٥٠)، والفاتيكانيّ (٣٥٠)، تُهمل العبارة «إلى أفسس الذين في المسيح يسوع» (أف ١:١). بينما يُثبتها المجلَّد الإسكندريّ والغربيّ، والسينائيّ المصحَّح، والفاتيكانيّ المصحَّح. وعدّة مخطوطاتٌ كبرى، ومعظم الترجمات القديمة (من هنا تبنّت طبعة «اهيحم» الكسليك: «من بولس، رسول يسوع المسيح بمشيئة اللّه، إلى القدّيسين الذين هم في أفسس» (أف ١: ١)[1].

هناك موضوع آخر: مَن هو كاتب

---

[1] «اهيحم» **الكتاب المقدّس، العهد الجديد**، كلّيّة اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس-الكسليك، لبنان، ١٩٩٢.

الرسالة؟ إنْ كان بولس هو الكاتب، وأفسس هي الكنيسة التي يكتب إليها، كيف يُعقَل أن يكتب بولس إلى مؤمني أفسس وكأنّه يسمع عنهم أخبارًا من بعيد؟ «فلذلك أنا أيضًا، وقد سمعتُ بإيمانكم بالربّ يسوع» (أف١: ١٥). ولا أثر لأيّ حدث حصل معه مدّة ثلاث سنوات. وكيف يكتب رسولٌ إلى كنيسة أسّسَها بكثير من التضحية والتعب والآلام، يوجّه إليها رسالةً عامّةً لا تمتّ بأيّة صلة إلى الجماعة التي عاش معها مدّة طويلة؟ مع العلم أنّ بولس أمضى هذه السنوات في أفسس بالتبشير والاحتكاك بأهليها، واطّلع على مشاكلها الداخليّة بكلّ دقّة، وقبل أن يتركهم أودعهم نصائحه وذكّرهم بتعاليمه وهو مقيم عندهم: «فاسهروا إذًا، واذكروا أنّي، على مدى ثلاث سنين، ما كففتُ، ليلاً نهارًا، عن أن أنصح بالدموع كلاً منكم» (أع ٢٠: ٣١). أو كيف يتحدّث بولس إلى الأفسسيّين كأنّه غريب عنهم (أع ١٩: ١-٢٠)؟ أو هل يُعقل أن لا يسلّم بولس في خاتمة رسالته على أحد باسمه من الإخوة المؤمنين في أفسس؟ بينما يسلّم على عشرات الإخوة والأخوات المؤمنين، في رسالته إلى أهل روما وغيرها؟ والأهمّ أنّه لم يعالج في رسالته مشاكلَ كنسيّةً أو مواضيعَ لاهوتيّةً محلّيّة كما في سائر الرسائل، بل جاءت أفكاره سكبًا في قالب كونيّ وآفاق مسكونيّة شاملة لا تمتّ بأيّة صلة إلى أهل أفسس الذين أمضى سنواتٍ بينهم.

معظم الشرّاح يميلون إلى القول إنّ هذه الرسالة موجّهة إلى كلّ كنائس آسيا الصغرى. أو تلك التي كتبها بولس إلى كنيسة اللاذقيّة التي تذكرها كولوسّي: «ومتى قُرئَتْ عندكم هذه الرسالة فاعملوا على أن تُقرأ أيضًا في كنيسة اللاذقيّين، وأتوا بالرسالة من اللاذقيّة لتقرأوها أنتم أيضًا» (كو ٤: ١٦)، أيّة رسالة تُقصَد هنا؟ هل هي إلى كنيسة أفسس كما يظنّ بعض الشرّاح؟ أم هي رسالة مفقودة؟ أم هي رسالة يُفترَض أن تكون عامّة «دوّارة» إلى عدّة كنائس في مقاطعة آسيا، يحملها «ساعي بريد» يوزّعها على كلّ كنيسة يصل إليها ويضيف إلى النصّ اسمَ الكنيسة المحلّيّة؟ وبما أنّ أفسس كانت الكنيسة الرئيسيّة في هذه المقاطعة، فقد جرى التقليد المبكر على اعتبارها مرسَلةً إلى أهليها مباشرة، وأنّ النسخة التي أُرسلت إلى كنيسة أفسس هي التي حفظها التقليد المخطوط الذي وصل إلينا. هذا هو الرأي الأرجح.

ولكن إذا عدنا إلى أعمال الرسل حيث يودّع بولس كنيسة أفسس: «ومن ميليتوس أرسل بولس إلى أفسس فاستدعى شيوخ الكنيسة، ولما قدموا إليه قال لهم: "أنتم تعلمون كيف تعاملتُ دائمًا معكم، من أوّل يوم دخلت فيه آسيا"» (أع٢٠: ١٧-١٧)، نراه يخطب في شيوخ كنيسة أفسس خطبةً موجّهةً إلى جماعة معيَّنة يُذكّرهم بتفاصيل دقيقة ومحدَّدة.

موضوع كاتب الرسالة أثار جدلاً طويلاً لما فيه من تعقيدات، فقد اعتبر البعض، ومنهم P. Benoit، أنّ بولس كتب معظم نصوصها، ثمّ ترك لأحد تلاميذه أن يصوغها صياغةً حرّة شاملة، ويزيد: «فإن كان اللمسُ لمسَ عيسو، فالصوتُ صوتُ يعقوب». فهو يرى أنّ بولس كتب معظم نصوص الرسالة، لأنّ المنحى العامّ للرسالة والأفكار يوحي كأنّها «بولُسيّة»، ولا تتخطّى الخمسةَ في المئة النصوصُ التي تشكّل صعوبةً حقّة في نسبتها إلى بولس الرسول فاللاهوتُ لاهوتُ بولس لكنّ الأسلوبَ أسلوبُ الناسخ. مهما يكنْ من أمر، فإنّ هذا التلميذ هو أكثر من «سكريتير» وأكبر من مقلّد وناسخ، إنّه يتمتّع بذكاء مميَّز إذ استطاع أن يلتقط فكر بولس معلّمه بكلّ دقّة وأن يُعطي الرسالة حقّها في شرح مخطّط اللّه الخلاصيّ، الذي كُشف للرسول: «فبالنعمة أنتم مخلَّصون بالإيمان: وذلك ليس هو منكم، إنّه عطيّة اللّه. ليس هو من أعمال، لئلاّ يفتخر أحد. فإنّا لَصُنْعُه، وقد خُلِقنا في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة سبق اللّه فأعدّها حتّى نسلك فيها» (أف ٢: ٨-١٠).

الرسالة، عبارة عن رسالة تعليميّة، خُلُقيّة في شكل خطاب، وقد أُرسلَت على يد طيخيكُس كما أرسلت على يده الرسالةُ إلى أهل كولوسّي: «ولكي تعلموا أنتم أيضًا أحوالي، ما أفعل، سيعرّفكم إيّاها كلّها طيخيكُس الأخ الحبيب، والخادمُ الأمين في الربّ» (أف ٦: ٢١)؛ و«سيُعرّفكم جميع أحوالي طيخيكُس

الأخُ الحبيب، والخادم الأمين، ورفيق خدمتي في الربّ، وقد بعثتُه إليكم لهذا عينه، لتعرفوا أحوالنا، ويعزّي قلوبكم» (كو ٤: ٧-٨). تلميذ ينقل إلى أهل كولوسّي - كما إلى أهل أفسس - بالصوت الحيّ أخبارَ بولس، الذي يبدو مهتمًّا جدًّا بإطلاعهم على أحواله. إنّه يُمثّلُ دورَ بولس وسلطته بين مؤمني آسية ويُذكّرهم بشخصيّة معلّمه مواصلاً بينهم رسالةَ بولس عينها.

هويّة قرّاء الرسالة هم: «أنتم، وقد كنتم أمواتًا بزلاّتكم وخطاياكم، التي سلكتم فيها من قبلُ وفق إله هذا العالم، وفق رئيس سلطان الهواء، الروح العامل الآن في أبناء العصيان» (أف ٢:١-٢). هم خليط من أمم ويهود، خاضعون لعمل القوّات الشرّيرة المتحكّمة بمقدّرات البشر. فالجميع كانوا خطأة: «ونحن أيضًا جميعنا قد تصرّفنا بينهم من قبل... عاملين إرادات الجسد والأفكار، وكنّا بالطبيعة أولاد غضب كالباقين» (أف ٢:٣). هذه الجماعة المجزّأة، وبولس يَعُدّ نفسَه منها، توحّدَتْ في الإنسان الجديد الذي هو يسوع المسيح: «هو الذي نقض العداوةَ في جسده، الجدارَ الأوسطَ الفاصل، فأبطَلَ شريعةَ الوصايا بما فيها من فرائض، ليخلق الاثنين فيه إنسانًا واحدًا جديدًا، منشئًا بينهما سلامًا» (أف ٢:١٤ ب و١٥)؛ فالمصالحة هي عمل المسيح الفادي ملقي السلام: سلام عامّ، سلام بين الوثنيّين واليهود.

ثمّة عدّة افتراضات، حول قرّاء الرسالة، تبقى نقاطَ استفهامٍ للتوضيح أمام الباحث والقارئ. لكن مهما يكن من أمر فالرسالة تُعتبرَ موجّهةً إلى كلّ الكنائس المعاصرة لبولس وللرسل ولكل الكنيسة في كلّ الأجيال. لكنّ بعض نصوص الرسالة ترجّح اعتبارات عامّةً عن المؤمنين (أف ٢: ١-١٠) حيثُ يتابع الرسول كلامه على تدبير اللّه الخلاصي الشامل كلّ الأزمنة وكلّ الناس (أف ٢: ١١-٢٢)، وحيث يذكّر المؤمنين بواقع البشريّة الماضي المنقسم إلى عالمين متناقضين: وثنيّ أقلف مرذول، ويهوديّ مختون مختار. لكنْ بالمسيح تمت المصالحة بين اليهود والأمم وبين الناس أجمع وعلى مدى الأجيال (في حال تجاوبت البشريّة لصوت الربّ).

أين ومتى كُتبت الرسالة إلى الأفسسيّين؟

لا مجال للفصل بين مكان كتابة الرسالة وتاريخها؛ لأنّ الاعتبارات عديدةٌ حول تحديد هذا الموضوع. منذ القرن الثاني، اعتاد العلماء أن يُدرجوا الرسالة إلى الأفسسيّين في عداد «رسائل الأَسْر» (فيلبّي، كولوسّي، أفسس وفيليمون)، مستندين إلى المراجع التالية من رسائل بولس ومن أعمال الرسل: «أنا أسير المسيح يسوع من أجلكم، أيّها الأمم...» (أف ٣: ١)؛ «فأطلب إليكم إذًا أنا الأسير أن تسلكوا مسلكًا جديرًا بالدعوة التي لها دُعيتم» (أف ٤: ١)؛ «الذي من أجله أنا سفير سلاسل، حتى يصير لي في الإنجيل جراَة، فأنطق به كما يجب» (أف ٦: ٢٠)؛ «وصلّوا في الوقت عينه من أجلنا، ليفتح لنا اللّه بابًا للكلمة، فننطق بسر المسيح، سرٍّ أنا بسببه مقيَّد» (كو ٤: ٣)؛ وعن اعتقاله في روما: «والآن أنا ماثل أُحاكَم على رجاء الوعد الذي وعدَ به اللّهُ آباءَنا» (أع ٢٦: ٦). كما استندوا على تشابه مواضيع الرسالة، وبالأخصّ الرسالتين إلى كولوسّي وأفسس. ناهيك عن أنّ المرسِل واحد وهو طيخيكُس، لأنّ بولس لم يُسجن وحده بل كان يصطحب رفقاءَ أمناءَ له يحملون رسائله إلى مختلف الكنائس، حيث يتعذّر على معلّمهم الوصول فيحدّد لوقا في أعمال الرسل طريقةَ توقيف بولس وسَجنه مع الرفاق في روما إذْ سلّم قائدُ المئة السجناءَ إلى رئيس المشاة، وأُذن لبولس أن يتّخذ منزلاً خارج المعسكر، لكنْ تحت الرقابة الشديدة، وأن تكون ذراعُه اليمنى مشدودةً بسلسلة إلى ذراع العسكريّ اليسرى: «ولما دخلنا رومة، أُذن لبولس أن يقيم في بيت، هو والجنديّ يحرسه» (أع ٢٨: ١٦).

آخر ما توصّل إليه الخوري بولس الفغالي في دراسته عن بولس وجولاته وسجنه، اعتبارُه أنّ في الفصلين ٢٧ و٢٨: ١٦ من أعمال الرسل، تأكيدًا على أنّ الرسالة إلى أهل أفسس، كتبَها بولس في روما وهو مسجون (موقوف) مع رفاق له بين السنتين ٦١-٦٣: «وصل بولس إلى روما وسُلِّم مع سجناء آخرين إلى ضابط ومجموعةٍ من الجنود، وسافر لوقا وأرسترخس معهم» (وكان

ذلك نهاية ٦٠ – ربيع ٦٢). مكث في روما (بداية ٦٣)، حسب ما جاء في أعمال الرسل (٢٨: ١٦-٣١). أقام بولسُ ورفيقاه في بيت محايد. وكان الرسول بحراسة جنديٍّ، وكان باستطاعته أن يستقبل مَن يشاء: «يسلّم عليكم أرسطرخس رفيق أسري، ومرقس نسيب برنابا الذي تلقّيتم وصايا بشأنه: إذا قدم إليكم فتقبّلوه!» (كو ٤: ١٠). بعد ذلك وصل كثيرون من معاونيه وموفدون من الجماعات المسيحيّة حيث أسّس الكنائس. «استفاد بولس من حرّيته النسبيّة ليبشّر بالإنجيل أوّلاً أمام اليهود، ثم أمام الجنود الموكَلين بحراسته، وإلى أشخاص رومانيّين. من روما كتب رسائل السجن: أفسس، كولوسّي، فليبّي، وفيليمون. ولَمّح أنّه "مكث عامَين كاملَين ببيته المستأجَر، وكان يستقبل جميعَ الآتين إليه» (٢٨: ٣٠). فقال بولس إنّه عاش سنتين في بيته دون أن يزيد شيئًا عن محاكمته»[2].

إنّ الترجمة المسكونيّة للكتاب المقدّس (*TOB*, 1973) ترجّح أنّها كُتِبَت في رومة وهو تحت رقابة الجند بين سنة ٦١–٦٣: بعد الرسالة إلى أهل كولوسّي والرسالة إلى فيليمون.

أمّا طبعة أوستي، فتفترض أنّه «إذا كان بولس كاتب هذه الرسالة، فإنّ مقارنتها بالرسائل التي كتبها قبل ٥٨، إلى قورنتس وفيليبّي وغلاطية وروما، تفرض مرور فسحة غير قليلة من الزمن بينها وبين هذه الرسالة، وتُرجّح كتابتها بمدّة الأسر في روما، بين السنتين ٦٠–٦٣. أمّا إذا كان كاتبها تلميذًا لبولس، كتبها مستلهمًا بولس وروحانيّته، ليقدّم على ضوئهما حلولاً عمليّة لمواضيع جديدة في أواخر القرن الأوّل، فتُرجّح كتابتها بين السنتين ٨٠ و١٠٠»[3]. إذ فيها تلميح إلى سقوط أورشليم سنة ٧٠ واهتداء الأعداد الهائلة من اليهود إلى المسيحيّة، بعد انهيار الهيكل والمجامع اليهوديّة. إنّ الّذين كانوا بُعداء وغُرباء أصبحوا اليوم أقرباء بعد انهيار الجدار المادّيّ الفاصل بين اليهود والوثنيّين في داخل هيكل أورشليم. فالجميع أصبحوا اليوم أقرباء وأصبحوا واحدًا بالمسيح، هم الذين سمعوا بشارة بولس ورفاقه: «تذكّروا أنّكم كنتم وقتئذٍ بلا مسيح، مُبعَدين عن رعوية إسرائيل، وغرباء عن عهود الوعد، لا رجاء لكم في العالم ولا إله، أمّا الآن ففي المسيح يسوع أنتم الذين كنتم بُعداء صرتم بدم المسيح أقرباء، فإنّه هو سلامنا، هو جعل الاثنين واحدًا، وفي جسده نقض العداوة، الجدار الأوسط الفاصل» (أف ٢: ١٢–١٤).

هناك آراء متعدّدة لبعض العلماء تعتبر أنّ الرسالة ترجع إلى تاريخ متأخّر، إلى مرحلة ما بعد الرسل. هذا ما يتطلّب اجتهاداتٍ ومراجع لم تقع بين أيدينا.

خاتمة

إنّ الرسالة إلى أهل أفسس تُعَدّ إنجيلاً أبديًا، حقيقة مطلقة شاملة، تُدعى «دَوّارة» موجَّهة إلى جميع مَن تقع تحت يده. كانت كلمة «الكنيسة» في رسائل بولس السابقة تعني الكنائس المحلّيّة على العموم، كانت الكنيسة كنيسة مرتبطة بالزمن، تعيش في تاريخ، تتألّب مع تطوّراته. مع هذه الرسالة تبدو كأنّها أزليّة، أبديّة، تطاول جميع الطبقات، تصلح لكل المناسبات، غير مرتبطة بشعب أو بأمّة أو بعرق؛ فهي: Encyclique باباويّة (إرشاد رسوليّ بولُسيّ معاصر!).

ورد في رسائل أخرى أنّ الكمال يحلّ في المسيح، وأمّا في الرسالة الحاليّة، فإنّ الكنيسة هي كمال المسيح. سواء أكتب بولسُ الرسالةَ إلى الأفسسيّين، أو إلى كنائس آسيا أو غيرها، أم كتبَها هو بنفسه أم أحدُ رفاقه في السجن أو خارجه، في تاريخ معيَّن، فإنّه قد خطَّ جوابًا من أعظم الأجوبة التي أتى بها مسيحيّو ذلك الزمن لمشكلة مستقبلهم. أراد أن يسير بالمؤمنين فيتنبّهوا تنبّهًا تامًّا لما تبدَّلَ تبدّلاً كلّيًّا في العالم على أثر موت يسوع وقيامته.

---

[2] «بولس في رومة»، **في المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم**، جمعيّة الكتاب المقدّس، المكتبة البولسيّة، الطبعة الأولى، جونية–لبنان، ٢٠٠٣، ص ٢٩١.

[3] «أوستي»، المقدّمة، ص ٢٥٨–٣٥٨.

المراجع

١- الكتاب **المقدّس**، دار المشرق، المكتبة الشرقيّة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩.

٢- الخوري بولس الفغالي، **رسالة القدّيس بولس إلى أهل أفسس**، محطّات كتابيّة -٢- الرابطة الكتابيّة، طبعة أولى، البوار، ١٩٩٦.

٣- التفسير الحديث للكتاب المقدّس، العهد الجديد، **الرسالة إلى أفسس**، بقلم فرانسيس فولكس، نقله إلى العربيّة القسّ أنسي عبد الملك، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠.

4- "Ephésiens", *Dictionnaire des noms propres de la Bible*, éd. du Cerf/DDB, Paris, 1978.

5- "Ephèse", *Dictionnaire illustré de la Bible,* Bordas, France, 1990, p. 197.

6- "Ephèse", *Dictionnaire de la Bible,* t. 4, col. 1849-1851.

7- Wilfrid Harrington, *Nouvelle introduction à la Bible,* 1, *Epître aux Ephésiens,* éd. du Cerf, Paris, 1970.

8- Michel Boittier, *L'épître de Saint Paul aux Ephésiens*, Labor et Fides, Genève, 1991.

9- P. Benoit, *Exégèse et Théologie,* 3, éd. du Cerf, Paris, 1968.

10- M. Carrez, "Les lettres aux Colossiens et aux Ephésiens", in *Lettres de Paul, Jacques, Jude et Jude,* Desclée, Paris, 1983.

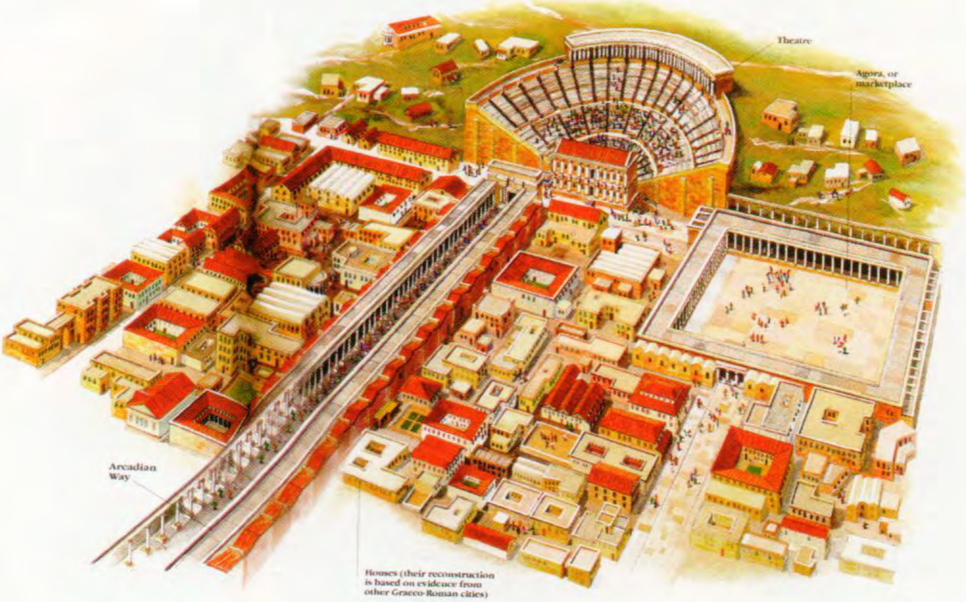

أفسس أيام بولس: المسرح (في الوسط)، ويتم الوصول إليه عبر **الطريق المزدانة بالأعمدة**، والتي نشاهد المساكن والأبنية المختلفة إلى يمينها وإلى يسارها؛ **سوق المدينة** المربّع والمحاط بالأعمدة (إلى يمين القارئ)

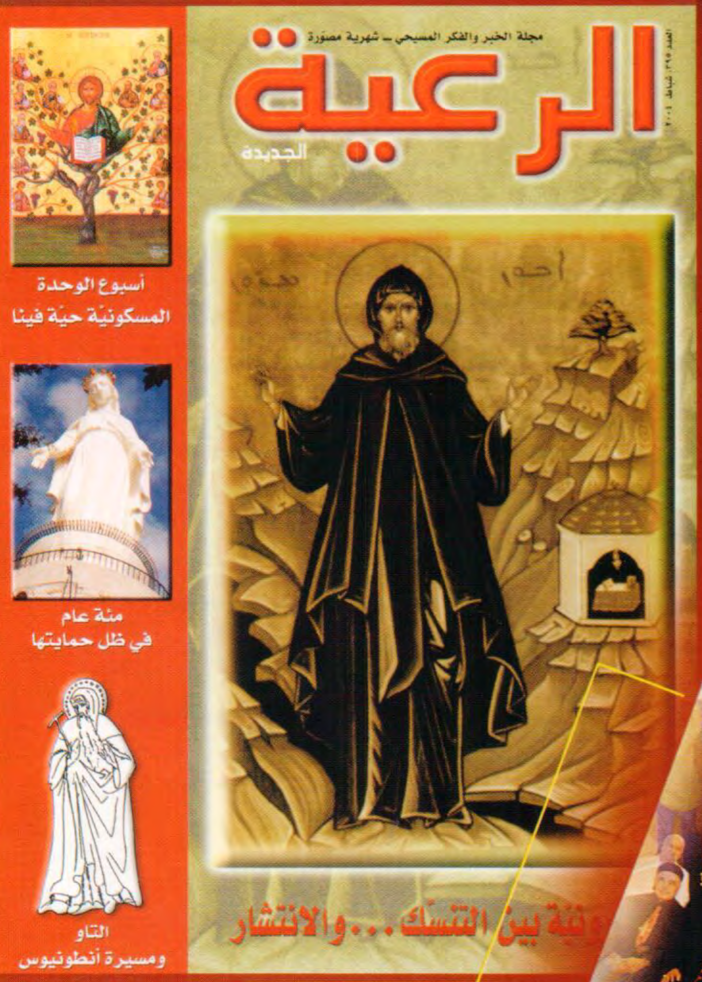

إقراء في مجلّة الرعيّة:

العدد ٣٩٥ شباط ٢٠٠٤

- المونسينيور منصور لبكي، «إنجيل في صلاة». ص ٩.
- الخوري بولس الفغالي، «على صورة الله ومثاله»، ص ٨٤.

إقراء في مجلّة الرعيّة:

العدد ٣٩٣ ك١ ٢٠٠٣

- المونسينيور منصور لبكي، حبل مريم بيسوع من الروح القدس، ص ٨.
- الأب بولس الفغالي، «سلم بين الأرض والسماء»، ص ٢٦.

نشيد رسالة أفسس (١: ٣-١٤)

التدبير الثالوثي: من الاختيار إلى القداسة

الأب أنطوان عوكر

مُقدّمة: ملاحظات تمهيديّة

يَرد النشيد الذي هو مَوضوع مقالتنا بعد الآيَتين الافتتاحيَّتين في الرسالة إلى أهل أفسس. مَهما يَكن من أمر صحّة نسبة الرسالة مُباشرة إلى بولس، فإنّ كاتبها يستعمل في هاتَين الآيتَين المقدّمات المُعتادة التي يستعملها بولس في رسائله (الكاتب، المُرسَل إليهم، تحيّة) للتأكيد على أهمّيّة مضمون رسالته وسلطته. أمّا من جهة الجماعة المسيحيّة التي يتوجّه إليها فيَصفُها بجماعة "قدّيسين ومؤمنين". تُشكّل هاتان التسميتان ركيزة أساسيّة لفَهم مضمون النشيد. فالقدّيسون هُم الذين اختارهم الله الآب وأفرزهم بمشيئته، والمؤمنون هُم الذين سَمعُوا دعوة الآب وعَملوا بحسب اختياره لهم. أمّا التحيّة التي تحتوي على "النعمة والسلام" فتَجمع، كما سائر الرسائل، بَين البُعدَين اليونانيّ واليهوديّ للتحيّة. لا بُدّ من الإشارة أخيرًا إلى أنّ هاتَين الآيتَين تذكُران "المسيح يسوع" ثلاث مرّات: مرّة لتحديد الكاتب، ومرّة لتحديد المُرسَل إليهم، ومرّة لتحديد مصدر التحيّة. سوف يوسّع الكاتب هذه المكانة الجوهريّة للربّ يسوع المسيح في "مباركته" الآتية.

مُنذ مطلعه، يَظهَر نَشيد رسالة أفسس (١: ٣-١٤) كمُبَاركات مُتبادلة: "مُباركٌ الله... الذي باركنا...". يُبارَكُ الله لأنّه أغدق على المؤمِن عطايا. يكثر هذا النوع من الأناشيد في العهد القديم: "مُبارَكٌ الله العليّ الذي أسلم أعداءَك في يَدك" (تك ١٤: ٢٠)؛ "مُبارَكٌ الربُّ الذي أنقذكم من أيدي المصريّين ومن يد فرعون" (خر ١٨: ١٠)... وفي رسالة أفسَس يُبارك اللهُ لأجل بركاته "الروحيّة" التي حقّقها بواسطة ابنه يسوع المسيح.

مِن جهة أخرى، تُجاه الهبات والعطايا لا يتكلّم الكتّاب المُلهَمون على شُكر بَل على "مباركة"، على تسبيح: فالرجل الفقير الذي يُفَكُّ رهنُه يُبارِكُ الذي أقرضه (تث ٢٤: ١٣)؛ نزولاً عند رغبة يوآبَ أطلق داود سراح أبشالوم، فما كان من يوآبَ إلاّ أن بارَكَ الملك (٢ صم ١٤: ٢٢)؛ هذا ما نراه أيضًا في مُعظم مزامير "التسبيح"... لقد دخَلَ كاتب الرسالة إلى أهل أفسس في هذا التقليد فجاء نشيده صرخة تسبيح ومباركة لما اختبره من المواهب.

في هذا السياق نُشير أخيرًا إلى اختلاف جوهريّ بين "مباركات" العهد القديم ومُباركة رسالة أفسس. فَفي العهد القديم تُستَعمل العبارة "مُبارك الله إلهُ أحدهم..." لِسَرد ما عمله الله مَعه. نرى مَثلاً "مباركٌ الربّ إله سيّدي إبراهيم الذي لم يمنع لُطفَهُ وحقَّه عن سيِّدي" (تك ٢٤: ٢٧)؛ أو "قال أخيمعصُ للمَلك: مُبارك الربُّ إلهُك الذي دفع القوم الذينَ رفعُوا أيديهم على سيِّدي الملك" (٢ صم ١٨: ٢٨)... أما كاتب الرسالة إلى أفسس فيبدأ نشيده بمُباركة الله أبي ربِّنا يسوع المسيح ليُعدِّدَ ما صنعه الآبُ لأجلنا "نحنُ" في المسيح يسوع. من هُنا يُطرح السؤال: كيف سرد الكاتب مراحل تدبير الآب الخلاصيّ؛ وما هي هذه المراحل؟ للإجابة على هذا السؤال سوف نعرض أوّلاً ترجمة بين السطور للنشيد تُساعدنا على تمييز النقاط المفصليّة في النصّ؛ بعد ذلك نُورد بعض المُعطيات الأدبيّة التي تخوّلنا اقتراح بُنية أدبيّة للنشيد. من ثمّ نُجيب على السؤال المطروح.

١- مُلاحظات بُنيويّة لنشيد رسالة أفسُس

يظهر بشكل واضح، من خلال اللغة اليونانيّة الأصليّة للنصّ، أنّ النشيد مؤلَّف من جملة واحدة فقط. تترابط عناصر هذه الجملة بأدوات وبحروف جرّ وبأسماء فاعل وغيرها. نسعى في هذا القسم إلى اكتشاف أهمّ هذه النقاط المفصليّة وأبرز المُعطيات الأدبيّة التي بنى الكاتب على أساسها نشيده.

تتكرَّر ثَلاث مرّات في النص عبارة: "لِمَدح مَجد" (آ ٦ و١٢و١٤). اعتبر بعض الشارحين هذه العبارة "لازمة" يُكرِّرها النشيد وبالتالي تقسمه إلى ثلاثة أقسام؛ في حين أن البعض الآخر لم يستعملها لقسمة النشيد. سنعتمد هذه العبارة لقسمة النشيد لأنها تجعلنا نُميّز بين قسم أوّل (آ ٣-٦) حيث يظهر عمل الآب بأفعال للغائب (هو)؛ وقسم ثان (آ ٧-١٢) تَغلب فيه أفعال في صيغة المُتكلّم الجمع (نحن)؛ وقسم ثالث (آ ١٣-١٤) وُضع في صيغة المُخاطب الجمع (أنتم). والسبب الثاني الذي يؤكّد على هذه القسمة هو أنّ القسم الأوّل يُركّز على عمل الآب "قَبل إنشاء العالم"، والقسم الثاني على عمل الابن حين 'افتدانا بدمه"، والقسم الثالث على عمل الروح الذي به خُتم المؤمنون والذي يُتمّم العملَين الأوّلَين.

من جهة أخرى، النشيد مليء بعبارات تدلّ على وساطة المسيح (في المسيح، فيه). هُناك عبارة مُترادفة ولكن تأخذ شكلاً آخر تُرجمت بين السطور بـ"الذي فيه" نجدها في الآيات ٧ و١١ و١٣ (ترد على التوالي بعد: "في الحبيب"، "فيه"، "في

الرسالة إلى أهل أفسس ١ ΠΡΟΣ ΕΦΕΣΙΟΥΣ 1

3Εὐλογητὸς ὁ θεὸς καὶ πατὴρ τοῦ
أبو و الله مُبارَكٌ
κυρίου ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ, ὁ εὐλογήσας ἡμᾶς ἐν πάσῃ
كلِّ في نا الذي باركَ المسيح يسوعَ نا ربِّ
εὐλογίᾳ πνευματικῇ ἐν τοῖς ἐπουρανίοις ἐν Χριστῷ, 4καθὼς
كما المسيح في السماويّاتِ في روحيَّةٍ بَركَةٍ
ἐξελέξατο ἡμᾶς ἐν αὐτῷ πρὸ καταβολῆς κόσμου εἶναι ἡμᾶς
نحنُ لِنكونَ العالَمِ إنشاءِ قبلَ ـه في نا اختارَ
ἁγίους καὶ ἀμώμους κατενώπιον αὐτοῦ ἐν ἀγάπῃ, 5προορίσας
مُحَدِّدًا سابِقًا مَحبَّةٍ في ـهُ قُدّامَ بلا لومٍ و قدّيسينَ
ἡμᾶς εἰς υἱοθεσίαν διὰ Ἰησοῦ Χριστοῦ εἰς αὐτόν, κατὰ τὴν
حَسَبَ ـهُ لَـ المسيحِ يسوعَ بِـ تَبَنٍّ لِـ إيّانا
εὐδοκίαν τοῦ θελήματος αὐτοῦ, 6εἰς ἔπαινον δόξης τῆς
مَجدِ مَدحِ لِـ ـه مَشيئةِ رِضى
χάριτος αὐτοῦ ἧς ἐχαρίτωσεν ἡμᾶς ἐν τῷ ἠγαπημένῳ. 7ἐν ᾧ
الذي فيه الحَبيبِ في علينا أنعَمَ التي ـه نعمةِ
ἔχομεν τὴν ἀπολύτρωσιν διὰ τοῦ αἵματος αὐτοῦ, τὴν ἄφεσιν
غفرانُ ـه دَمِ بِـ الفداءُ لنا
τῶν παραπτωμάτων, κατὰ τὸ πλοῦτος τῆς χάριτος αὐτοῦ 8ἧς
التي ـه نعمةِ غِنى حَسَبَ الزلاّتِ
ἐπερίσσευσεν εἰς ἡμᾶς, ἐν πάσῃ σοφίᾳ καὶ φρονήσει,
فَهمٍ و حكمةٍ كلِّ في نا على أفاضَ
9γνωρίσας ἡμῖν τὸ μυστήριον τοῦ θελήματος αὐτοῦ, κατὰ
حَسَبَ ـه مَشيئةِ سِرَّ لنا كاشِفًا
τὴν εὐδοκίαν αὐτοῦ ἣν προέθετο ἐν αὐτῷ 10εἰς οἰκονομίαν
تدبيرِ لِـ ـه في قصَدَ الذي ـهُ رِضى
τοῦ πληρώματος τῶν καιρῶν, ἀνακεφαλαιώσασθαι τὰ πάντα
كلَّ شيءٍ لِيَجمَعَ تحتَ رأسٍ واحدٍ الأزمنةِ ملءِ
ἐν τῷ Χριστῷ, τὰ ἐπὶ τοῖς οὐρανοῖς καὶ τὰ ἐπὶ τῆς γῆς ἐν
في الأرضِ على ما و السماواتِ في ما المسيحِ في
αὐτῷ. 11ἐν ᾧ καὶ ἐκληρώθημεν προορισθέντες κατὰ πρόθεσιν
قصدِ حَسَبَ مُحَدَّدينَ سابقًا اُختِرنا أيضًا الذي فيه ـه
τοῦ τὰ πάντα ἐνεργοῦντος κατὰ τὴν βουλὴν τοῦ θελήματος
مَشيئةِ رَغبةِ حَسَبَ الذي يَعمَلُ كلَّ شيءٍ
αὐτοῦ 12εἰς τὸ εἶναι ἡμᾶς εἰς ἔπαινον δόξης αὐτοῦ τοὺς
ـه مَجدِ مَدحِ لِـ نحنُ أن نكونَ لأجلِ ـه
προηλπικότας ἐν τῷ Χριστῷ. 13ἐν ᾧ καὶ ὑμεῖς ἀκούσαντες
لَمّا سَمِعتُم أنتُم أيضًا الذي فيه المسيحِ في الذينَ تَرَجَّينا سابقًا
τὸν λόγον τῆς ἀληθείας, τὸ εὐαγγέλιον τῆς σωτηρίας ὑμῶν,
ـكُم خَلاصِ إنجيلَ الحقِّ كلمةَ
ἐν ᾧ καὶ πιστεύσαντες ἐσφραγίσθητε τῷ πνεύματι τῆς
بِروحِ خُتِمتُم لمّا آمنتُم أيضًا الذي فيه
ἐπαγγελίας τῷ ἁγίῳ, 14ὅ ἐστιν ἀρραβὼν τῆς κληρονομίας
ميراثِ عُربونُ هو الذي القدّوسِ المَوعِدِ
ἡμῶν, εἰς ἀπολύτρωσιν τῆς περιποιήσεως, εἰς ἔπαινον τῆς
مَدحِ لِـ المُقتَنى فِداءِ لِـ نا
δόξης αὐτοῦ.
ـهِ مَجدِ

المسيح"؛ مع إضافة "أيضًا" في المرّتين الأخيرتَين). ونجد أيضًا اسمَي فاعل في صيغة الغائب (هو) يُساعدان على ربط عناصر جملة النشيد الوحيدة وهما: "مُحدِّدًا سابقًا" (آ ٥) و"كاشفًا" (آ ٩). يُلاحَظ أخيرًا أنّ الأداة التي تُرجمَت بـ"كما" في الآية ٤، والتي لا ترد إلاّ مرّة واحدة في النشيد، تأخذ بُعدًا تفصيليًّا لما أورده الكاتب في الآية ٣ التي تظهر كمُقدّمة للنشيد كلِّه.

على أساس كُلّ ما تقدّم يُمكننا أن نَقترح بنية أدبيّة للنشيد، مَع العلم أنّ هذا النشيد حظي ببُنى مُتعدِّدة ومُختلفة.

٢- البُنية المُقترحة

مُقدّمة النشيد: البركات الروحيّة (آ ٣)

القسم الأوّل: مُتجذّرة قبل إنشاء العالم (آ ٤-٦)

الاختيار المُسبَق (آ ٤)

التحديد المُسبَق للتبنّي (آ ٥-٦)

القسم الثاني: تَحقّقَت بالابن أثناء تجسُّده (آ ٧-١٢)

الفداء – غفران الزلاّت (آ ٧-٨)

كشف سرّ المشيئة الإلهيّة (آ ٩-١٠)

نوال النصيب المُحدَّد سابقًا (آ ١١-١٢)

القسم الثالث: تستمرّ بالروح القدس بَعد القيامة (آ ١٣-١٤)

عربون الميراث (آ ١٣-١٤)

٣- أفكار النشيد الأساسيّة

سنعرض أفكار النشيد الأساسيّة مُظهرين كيفيّة ترابط هذه الأفكار بحسب البُنية المُقترحة للنشيد.

لقد استعمَل كاتب الرسالة أسلوبًا معروفًا في العالم اليهوديّ وهو أسلوب المباركة. تناوَل موضوعَه في جملة واحدة؛ بدأها بإعلان مباركة الله الآب مِن أجل بركاته التي أنعم بها على المؤمنين. من ثمّ راح يُعدِّد هذه البركات: جذَّرها قبل كلّ الدهور في مشيئة الآب، وأعلن تحقيقها بتجسُّد الابن واستمراريّة مفاعيلها بواسطة الروح.

ركّزت مُقدّمة المباركة (آ ٣) على الأبعاد الثالوثيّة للبركات: الآبُ باركَنا بكلّ بركة روحيّة في المسيح. كما وأنّها شدَّدَت على البُعد الكريستولوجيّ لتحقيق هذه البركة من خلال إيراد اسم "يسوع المسيح" مرّتين، وعلى البُعد "السماويّ" مُستعملة الصفة الحياديّة في الجمع (السماويّات) بدل الاسم (السماوات) للدلالة على المواجهة والانتصار لأنّ هذا المكان السماويّ يضمّ الربّ والأرواح الشرّيرة (أف ٦: ١٢) والمؤمنين (٢: ٦)؛ لكنّ الربّ سينتصر فيه على كُلّ رئاسة وسلطان (١: ٢٠-٢٣). أمّا إعلان تحقيق البُعد الروحيّ للبركات فسيظهر في خاتمة النشيد (آ ١٣-١٤) حيث يكشف أنّ المؤمنين خُتموا بالروح ضمانة كُلّ بركة "روحيّة".

يتوسّع الكاتب، بَعد طَرح موضوعه في المُقدّمة، في تعداد البركات الروحيّة. يربطها مُباشرة باختيار الآب قَبل تأسيس العالم ليجعلها تتخطّى كلّ مشيئة بشر وكلّ متغيّرات زمنيّة. أمّا هدف هذا الاختيار فهو تكوين شعب يتميّز بالقداسة والمحبّة. هذان الأساس والهدف يختصران جوهر "العهد"، عهد الله مع شعبه.

يُعلنُ الكاتب تحقيق هدف الاختيار حين يُباركُ الآبَ مِن جهة لأنّه، باختياره شعبه، حَدَّد أن يكون هذا الشعب في علاقة حميمة به، علاقة أولاد بأبيهم؛ ومِن جهة أخرى لأنّه "في الحبيب" أغدق عليهم نعمته. بالتالي يُصبح الشعب أولاد الله مُقدَّسين ومُمَجِّدين إيّاه على نعمة التبنّي. يُلاحظ استعمال اسم المفعول "الحبيب" أو "المحبوب" فقط للإشارة إلى الابن يسوع المسيح؛ إنّها إشارة كافية لِمَن يعرف روايات معموديّة يسوع والتجلّي: "هذا هو ابني الحبيب". ففي هذا الابن الحبيب نال المؤمنون التبنّي وأصبحوا "أولادًا أحبّاء" (أف ٥: ١).

مِن خلال فَيض النعمة يختبر المؤمنون بالمسيح الفداء والغفران، ويحصلون على الحكمة والفهم اللذَين يحتاجون إليهما. في الواقع هناك ذكر مزدوج للفداء في النشيد (آ ٧ و ١٤) يُعطيه مَعنَيين مُختلفَين ولكن مُتكامِلَين. فالفداء الأوّل هو فداء "سلبيّ" يتجلّى في غفران الزلاّت، وهذا الفداء تحقّق في الزمن مِن خلال إهراق دم يسوع المسيح. أمّا الفداء الثاني فهو فداء "إيجابيّ" بدأ مع الفداء الأوّل ولكنّه يتخطّى الزمن ليتحقّق في دخول المؤمنين في الميراث الأبديّ. مُنتظرًا هذا البُعد النهيويّ للفداء، يُباركُ الكاتبُ اللهَ على كشفه سرّ تدبيره في ملء الأزمنة. فالآبُ كشف للمؤمنين أنّ ترتيبَه للتاريخ يتوجّه نحو المسيح ويقود كُلّ شيء في الكون إلى حالة التناغم في المسيح. أمّا المؤمنون،

ولأنّهم ترجّوا سابقًا، فَتربطهُم المُباركةُ بالمسيح "الكوني" وبقصد الله القدير حتّى يكونوا قادرين على تأدية المدح الواجب.

أخيرًا، تُدخِل المُباركة المؤمنين عمليًّا في صُلبِ موضوع المباركة إذ تُذكِّرهم أنّهم قَبلوا الإنجيل وختم الروح، فَهُم بالتالي نالُوا عربون الفداء الأخير الذي فيه سيقتني الله بالملءِ شَعبه ويُحقِّق فيه كُلّ مشيئته.

خاتمة

من الاختيار إلى القداسة مرورًا بالتحديد المُسبَق للتبنّي والفداء والوحي واقتناء الميراث: إنّها مسيرة المؤمنين بحسب تدبير الثالوث كما يظهر في نشيد رسالة أفسُس. ولكن يُمكننا أن نجمع أفكار النشيد الأساسيّة تحتَ عناوين أخرى مُركّزين على الأبعاد اللاهوتيّة (الله الآب)، والكريستولوجيّة (المسيح يسوع)، والبنوماتولوجيّة (الروحيّة) والإكليزيولوجيّة (الكنسيّة)، والكوسمولوجيّة (الكونيّة)، والكرونولوجيّة (الزمنيّة)، والإسكاتولوجيّة (النهيويّة). كُلّ هذه أبعاد تَدلّ على غنى النشيد اللاهوتيّ. فَكلّ شيء، ما في السماء وعلى الأرض وفي الكون كلّه، يؤول، من خلال تجلّي قداسة أبناء الله، لمدح مَجد الثالوث على كشف سرّ تدبيره. لا بُدّ من الإشارة أخيرًا إلى أنّ هذا النشيد ليس منفصلاً عن سياق الرسالة العامّ. فبَعد أن ضغط الكاتب لاهوته في هذا النشيد، وبعد أن دعا الذين يتوجّه إليهم ليَعوا البركات التي حصلوا عليها، سوف يوسّع، في صُلب الرسالة، كُلّ أبعاد هذا النشيد. ولعلّ أبرز ما يؤكّد على هذا الترابط هو قراءة الآيات الأخيرة من الفصل الأوّل التي تلي نشيدنا مُباشرة.

١٥لِذَلِكَ أَنَا أَيْضاً إِذْ قَدْ سَمِعْتُ بِإِيمَانِكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَمَحَبَّتِكُمْ نَحْوَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، ١٦لاَ أَزَالُ شَاكِراً لأَجْلِكُمْ، ذَاكِراً إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، ١٧كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ، ١٨مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ، ١٩وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ ٢٠الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، ٢١فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً، ٢٢وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، ٢٣الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.

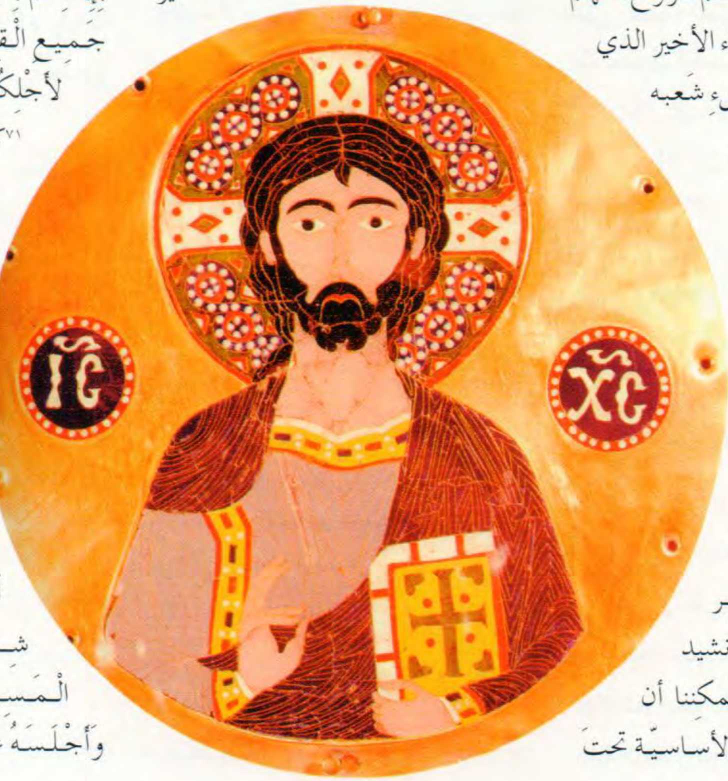

المسيح الرب الذي منه كل نعمة وبركة.
لوحة فنية بيزنطية من القرن العاشر، محفوظة في متحف غالديانو في مدريد

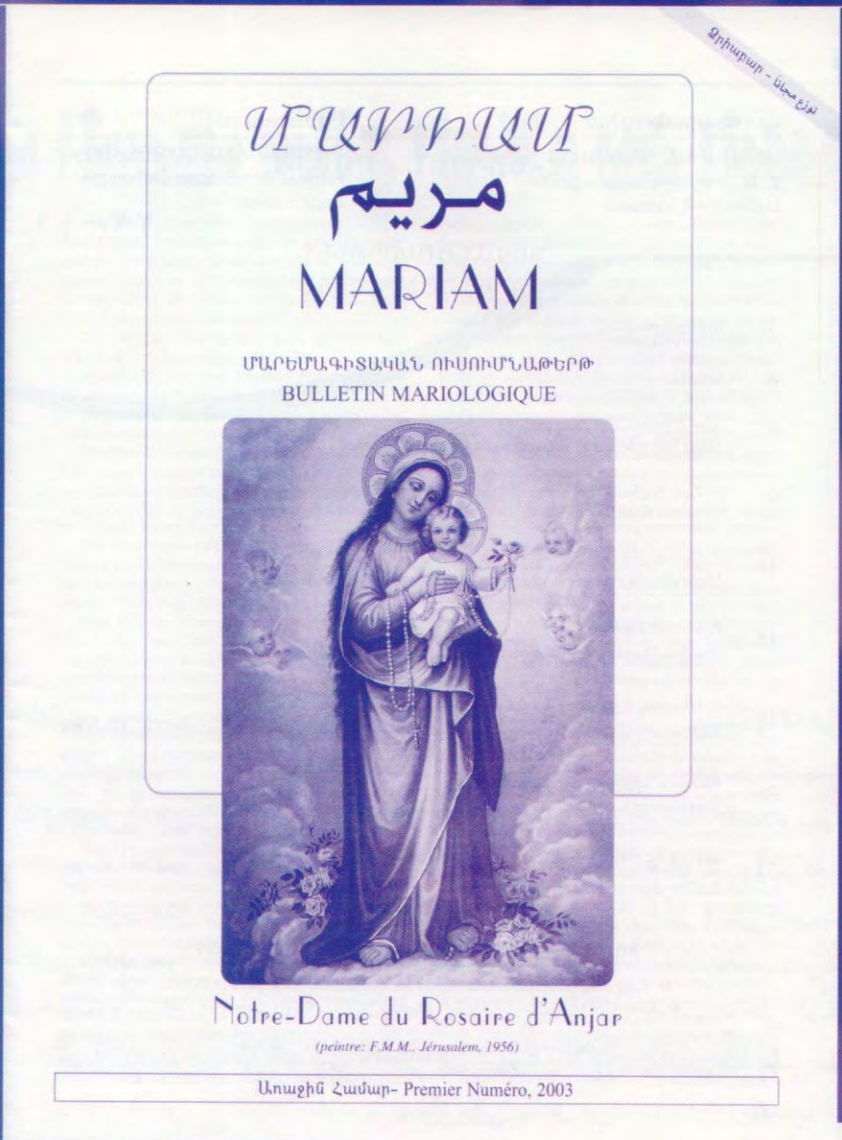

إقراء في مجلّة مريم:

العدد الأوّل ٢٠٠٣

الأب بولس الفغالي، **La Toison de Gedeon**، ص ٨ - ١٠

صليب المسيح: صانع السلام بين اليهود والامم

أفسس٢: ١١-٢٢

د. جوني عوّاد

في بداية الإصلاح الثالث، يتحدث كاتب الرسالة الى افسس[1] عن درايته "بسر المسيح"[2] (٤:٣) والذي اعطي له من خلال اعلان، والذي اصبح له خادما بفعل نعمة الله وقوته (٧:٣). محتوى هذا السر هو ان الامم (غير اليهود) اصبحوا "شركاء في الميراث والجسد ونَوالِ موعده في المسيح بالانجيل" (٦:٣). باختصار، سر المسيح هو ان الامم (ليس شعب الله المختار) اصبحوا بسبب المسيح شركاء لإسرائيل (شعب الله المختار) في الميراث والموعد.

افسس ٢:١١-٢٢ هو نص تأملي في هذا السر. يتأمل الكاتب في ما احدثه الحدث الالهي بيسوع المسيح من تغيير في مكانة الأمم ليس فقط لجهة علاقتهم باليهود، بل ايضا لجهة علاقة كل من اليهود والامم مع الله (٢: ١٦).

ورود كلمة "سلام" (باليونانية eirene) اربع مرات في ٢: ١٤- ١٧، وذلك بهدف القول إن المسيح سلامنا (٢:١٤)، أي سلام البشرية، نقض بجسده على الصليب العداوة بين اليهود والامم، صانعا سلاما بينهما، لكي يخلق من الاثنين في نفسه إنسانا واحدا جديدا (٢:١٥)، مصالحا الاثنين ليس فقط مع بعضهم البعض انما ايضا مع الله (٢:١٦)، مبشرا بالسلام للقريبين والبعيدين – ما هو إلاّ دلالة على مركزية السلام في التأمل بسر المسيح.[3]

يُستشف مما قيل حتى الآن ان هناك عداوة بين اليهود والامم حالت دون إرساء السلام بينهما، وبالتالي احبطت الشراكة والشركة بين بعضهم البعض. الخبر السار الذي ينبيء به النص ان هذه الحالة انعكست وانقلبت بسبب ما أسس له المسيح على الصليب.

في ما يلي سأعرض لأفسس ٢: ١١-٢٢ مقسما النص الى ثلاثة اقسام، هي كالتالي:

القسم الاول: ٢: ١١-١٣ يطرح فيه الكاتب بايجاز التباين في وضع الامم ماضيا (بعدهم وغربتهم عن اسرائيل وإلهها) وحاضرا (قربتهم).

القسم الثاني: ٢: ١٤-١٨ يشرح

١- انطلق في هذه المقالة من النظرية القائلة ان رسالة افسس ليست من يد الرسول بولس انما كتبت من قبل احد تلاميذه. لهذا السبب لن انشيء اي مقاربة بين الرسالة و باقي الرسائل البولسية الأصيلة وسأكتفي بتحليل للنص كما يرد في سياق الرسالة الى افسس.

٢- كل الشواهد الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني-فانديك.

٣- لا يمكن حصر اهتمام الرسالة بموضوع السلام بالنص قيد البحث. اضافة الى ورود كلمة "سلام" في مقدمة الرسالة (١:٢) وخاتمتها (٢٣:٦)، فهي ترد في نصين آخرين. النص الاول هو ٤:٣ والذي يطلب فيه الكاتب من قرائه الحفاظ على وحدانية الروح في جسد المسيح الواحد (الكنيسة) برباط السلام. والنص الثاني هو ٦: ١٤-١٥ والذي يحض فيه الكاتب قرّاءه على ان يثبتوا ممنطقين احقائهم بالحق ولابسين درع البر حاذين ارجلهم باستعداد انجيل السلام. ان النص قيد البحث، بالاضافة الى هذه النصوص، واضحت في ان الرسالة المؤتمنة عليها الكنيسة هي الكرازة بخبر السلام السار (انجيل السلام)، الحدث الالهي على الصليب للبشرية جمعاء. وان يكون هذا السلام رباط المؤمنين بعضهم ببعض ونور لسبيلهم في هذا العالم (حاذين ارجلهم باستعداد انجيل السلام).

الاسباب التي قلبت الغربة الى قرابة (عمل المسيح على الصليب – صانعاً سلاما).

القسم الثالث: ٢: ١٩–٢٢ وصف موجز للكنيسة يؤكد وجود الامم فيها وتشبيهها لبناء وهيكل.

هذا العرض لا يشمل كل التفاصيل في النص انما يركز على الافكار الاساسية فيه.

القسم الاول (اف ٢: ١١–٣١)

في إعداد الافتتاحية للنص يتوجه الكاتب بشكل مباشر الى قرّائه المسيحيين من خلفية أممية: "لذلك اذكروا انكم انتم الامم قبلا في الجسد المدعوّين غرلة (الامم) من المدعو ختانا (اليهود) مصنوعا باليد في الجسد" (٢:١١) . ويتابع الكاتب في وصفه لهؤلاء مشيرا الى انه قبل ايمانهم بالمسيح كانوا "بدون مسيح اجنبيين عن رعوية اسرائيل وغرباء عن عهود الموعد"، بلا رجاء، "وبلا إله في العالم" (٢:٢١).

في هذا العرض تبنٍّ واضح من قبل الكاتب للنظرة اليهودية للامم. لكن الملفت للنظر هو فرضية الكاتب المطروحة في ٢:١٢ ان المسيح حاضر في تاريخ اسرائيل الماضي مع الله حتى قبل تجسده (بدون مسيح). كأن الكاتب يقول في هذا الطرح ان تاريخ اسرائيل هو تاريخ امل ورجاء، تاريخ بدأ مع الاباء ومن ثم الانبياء ويسير قدما بسبب عهود عدة الى وعد اخير يشكل ذروة هذا التاريخ، ويتحقق الوعد بمجيء وعمل المسيح. ان تاريخ اسرائيل، رغم انحصاره بعلاقة الله بعرق واحد في الماضي كشعب مختار له، متى وصل الى ذروته سينفتح على كافة الشعوب والعرقيات ليتخذ الله منها شعبا مختارا له. لكن هذا الانفتاح مرتبط ارتباطا وثيقا بمجيء وعمل المسيح. اسرائيل في ذروة علاقتها مع الله لن تكون من عرقية واثنية واحدة، بل ستكون شاملة وذلك بفضل عمل المسيح.

ان مجيء المسيح اوصل هذا التاريخ الى ذروته، وبوصوله عكس وقلب حال الامم الذين آمنوا به. بعد ان كانوا بدون مسيح (اي خارج تاريخ اسرائيل المتحرك والقابل للانفتاح في المستقبل) اجنبيين، غرباء عن عهود الموعد، بلا رجاء وبلا إله في العالم، اصبحوا الآن "قريبين" (٢:١٣).

يَرُد الكاتب هذه القربة الى دم المسيح. اي ان دم المسيح كان كشّف وأعلن ان اسرائيل الحقيقية في القصد الالهي تتخطى العرق الواحد لتضم البشرية جمعاء. اف ٢: ١١–١٣ هو اعادة تعريف بهوية اسرائيل وشعب الله المختار، وربط وثيق لهذه الهوية بما أنجزه المسيح على الصليب.

القسم الثاني (اف ٢: ١٤–١٨)

بعد ان عرض الكاتب بايجاز لحال ووضع الامم ماضيا وحاضرا، يتوسع الان بتحليل أكثر عمقا لمسببات المشكلة ومن ثم حلها. يربط الكاتب بُعد الامم وغربتهم عن اسرائيل لوجود عداوة، مشبها هذه العداوة بـ"حائط السياج المتوسط" (٢:١٤). لكن ما هو حائط السياج المتوسط هذا؟ النص واضح في تشخيص المشكلة. العداوة ناتجة عن "ناموس الوصايا في فرائض" (٢:١٥).

غالبا ما كانت الشريعة الموسوية، على الاقل بالفكر اليهودي، تشبه بسياج او حائط يحمي شعب اسرائيل من دناسة الامم، محافظا على طهارة حياتها وضامنا لبقائها منعزلة ومنفصلة عن باقي الشعوب. هذا لا يعني بالضرورة ان هذا هو السبب الرئيسي الذي من اجله اعطيت الشريعة. على الارجح هذا الفكر بالنسبة إلى الشريعة بدأ يبرز ويقوى كلما ازداد اختلاط شعب اسرائيل بباقي الشعوب غير اليهودية. الشريعة وفرائضها كانتا المكونات الاساسية للهوية اليهودية. خيرُ تعبير عن هذا الفكر هو في ما تقوله رسالة اريستيس، احدى الكتابات الأبّوكريفية من القرن الاول قبل الميلاد:

"واهب شريعتنا (الله)... سيّجنا بسياج من اوتار خشبية لا يمكن خرقه، وبجدران من حديد كي لا نختلط باي طريقة ما بباقي الامم، وان نبقى اطهاراً في الجسد والروح (١٣٩)... وان لا نتدنس بأحد أو نصاب بانحرافات من خلال مصادقتنا لأشخاص عديمي القيمة، فهو سيّجنا من كل النواحي بما يقضي من طهارة في امور الطعام والشراب واللمس والسمع والبصر." (١٤٢؛ ترجمتي من اللغة الانكليزية)

هذه النظرة للشريعة، وبالتالي للامم، كونت ردة فعل لدى شعوب الامم بنفس المستوى. المؤرخ الروماني تاسيتس في القرن الاول ميلادي والذي يتحدث بإسهاب عن تاريخ وطبيعة اليهودية يذكر

ان اليهود يعتبرون كل ما هو مقدس للامم دنس، وبالتالي يسمحون بكل ما يبغضه هؤلاء. يتابع تاسيتس ان تقاليد اليهود بغيضة وحقيرة، وتمسكهم بها ما هو إلا دلالة على فسادهم. كأمة هم اهل وفاء لبعضهم البعض ودائما حاضرون ليظهروا شفقتهم، لكن تجاه غيرهم من الشعوب يشعرون بالعداوة والخصوم (Histories V, iii-v).

العداوة بين شريحتي البشرية كانت متبادلة، واقعية، حقيقية وملموسة، وسببها "ناموس الوصايا في فرائض". هذا على الاقل ما يشير اليه النصان المذكوران اعلاه.

الخبر السار في النص من افسس هو ان العداوة، المشبهة بحائط السياج المتوسط، والمتمثلة بناموس الوصايا في فرائض، نقضها المسيح بدمه على الصليب. بموته على الصليب نقض المسيح الشريعة. كيف حصل ذلك؟ الكاتب لا يخبرنا ولا يتفكر في هذا الموضوع. هو يكتفي بالاشارة الى ان موت المسيح كان كافيا لنقض الشريعة وابطال العداوة بين اليهود والامم صانعا بذلك سلاما. عملية النقض هذه عكست وقلبت وضع الامم واحضرتهم من بُعدهم وغربتهم عن اسرائيل والله وصيرتهم قرباء.

ان تأسيس السلام، من خلال الصليب، لم يكن يقتصر على بعده الافقي (اي سلام بين اليهود و الامم) انما تعداه الى بعده العامودي (المصالحة بين اليهود والامم من جهة و الله من جهة اخرى). في اف ٢:١٦ يقول الكاتب: "ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به." هذا يعني ان اسرائيل هي ايضا في غربة عن الله رغم عدم الاشارة الى ذلك في الاعداد الافتتاحية للنص. ان الانقلاب في وضع الامم أدى ايضا الى تغير في علاقة اسرائيل مع الله. الشريعة التي كانت المسبب الاساسي للعداوة والغربة بين اسرائيل والامم ادت ايضا بشكل ما الى غربة بين اسرائيل و الله.

بدم المسيح على الصليب نُقضت العداوة بين اليهود والامم، وفي جسد واحد صالح الاثنين مع الله، جاعلا من الاثنين واحدا (٢:١٤)، انسانا واحدا جديدا صانعا سلاما (٢:١٥). الصليب افرز خليقة جديدة. هذه الخليقة الجديدة هي عرق ثالث ان صح التعبير، تتخطى امية الامم و اسرائيلية اسرائيل.

هذه الخليقة الجديدة، المتمثلة بسلام بين اليهود والامم ومصالحة الاثنين مع الله، هي الكنيسة، جسد المسيح (١:٢٢-٢٣). وحيث هناك جسد واحد، الروح الذي يعمل هو ايضا واحد (٢:١٨). ورغم ان الخليقة الجديدة هي في استمرارية مع اسرائيل، لكنها ايضا في علاقة لا - استمرارية معها كون ان اسرائيل هي ايضا في غربة عن الله وبحاجة الى مصالحة معه كما يقول الكاتب في ٢:١٦. ان الخليقة الجديدة، اي الكنيسة، هي اسرائيل الحقيقية، التي وصلت الى ذروتها وذلك بفضل عمل المسيح لتنفتح على باقي شعوب المسكونة وينتقي منها الله شعبا مختارا له.

القسم الثالث (اف٢: ١٨-٢٢)

حرصا منه على ان لا يكون فهمه للكنيسة فهما عاما، يرجع الكاتب ليؤكد للمسيحيين من خلفية امية على اهمية مكانتهم ووجودهم ودورهم في الكنيسة. لذلك يصر الكاتب: "فلستم اذا بعد غرباء ونزلاء بل رعية مع القديسين واهل بيت الله" (٢:١٩). والملفت ان قربة الامم ليست قربة من رعوية اسرائيل لأن اسرائيل هي ايضا بحاجة الى اعادة تأهيل. الامم الآن هم رعية واحدة مع القديسين واهل بيت الله.

للتأكيد على مكانة الامم في جسد المسيح الواحد (الكنيسة) يلجأ الكاتب الى الاستعارة من تشبيه البناء. الامم هم جزء لا يتجزأ من مركب البناء الذي حجر زاويته هو المسيح. والمسيح هو المعيار والمقياس لحجارة البناء المكونة من رسل وانبياء. الامم هم جزء من هذا البناء، لم يعودوا غرباء بل من اهل بيت الله. والبناء هذا كله مركب معا ينمو هيكلا مقدسا. البناء هو في حالة نمو و لم يكتمل بعد. هذا يعني ان الكنيسة هي في عملية نمو وتطور. فهي غير مكتملة في نموها بالقداسة، انما تنمو فيها على رجاء ان تكتمل. اف ٢: ١١-٢٢ هو نص تأملي "بسر المسيح" الذي جعل من الامم (ليس شعب الله المختار) شعبا لله. بموته على الصليب لم ينقض العداوة بين اليهود والامم ليصنع سلاما فحسب ، بل جعل ايضاً من الاثنين انسانا واحدا جديدا (خليقة جديدة)، وصالح الاثنين في جسد واحد (الكنيسة) مع الله.

المراجع

1- Lincolin, Andrew, *Ephesians,* Word Biblical Commentary 42, Dallas Word Book, 1990.

2- MacDonald, Margaret, *Colossians, Ephesians.* Edited by Daniel Harrington, Sacra Pagina 17. Collegeville: The Liturgical Press, 2000.

3- Mauser, Ulrich, *The Gospel of Peace: A Scriptural Message for Today's Church,* Louisville: Westminster/John Knox Press, 1992.

4- Stuhlmacher, Peter. "He Is Our Peace" (Eph 2:14): On the Exegesis and Significance of Eph. 2:14-18." In *Reconciliation, Law and Righteousness: Essays in Biblical Theology,* Philadelphia: Fortress Press, 1986.

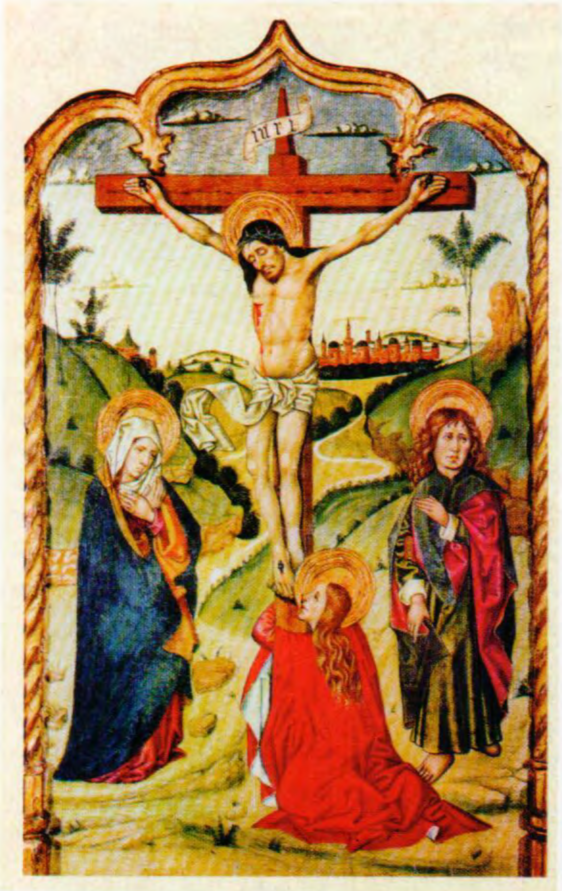

مشهد الصلب للفنّان خوان دو أبديا –Juan de la Abadia
(نهاية القرن الخامس عشر) متحف الفنّ الكاتالاني، برشلونة

إقرأ في مجلة شربل:
طاعة فقر وعفاف، العدد ٢٧٩ - ٢٠٠٣

- الأب أيوب شهوان، «رفقا والكتاب المقدس»، ص ٣٩.

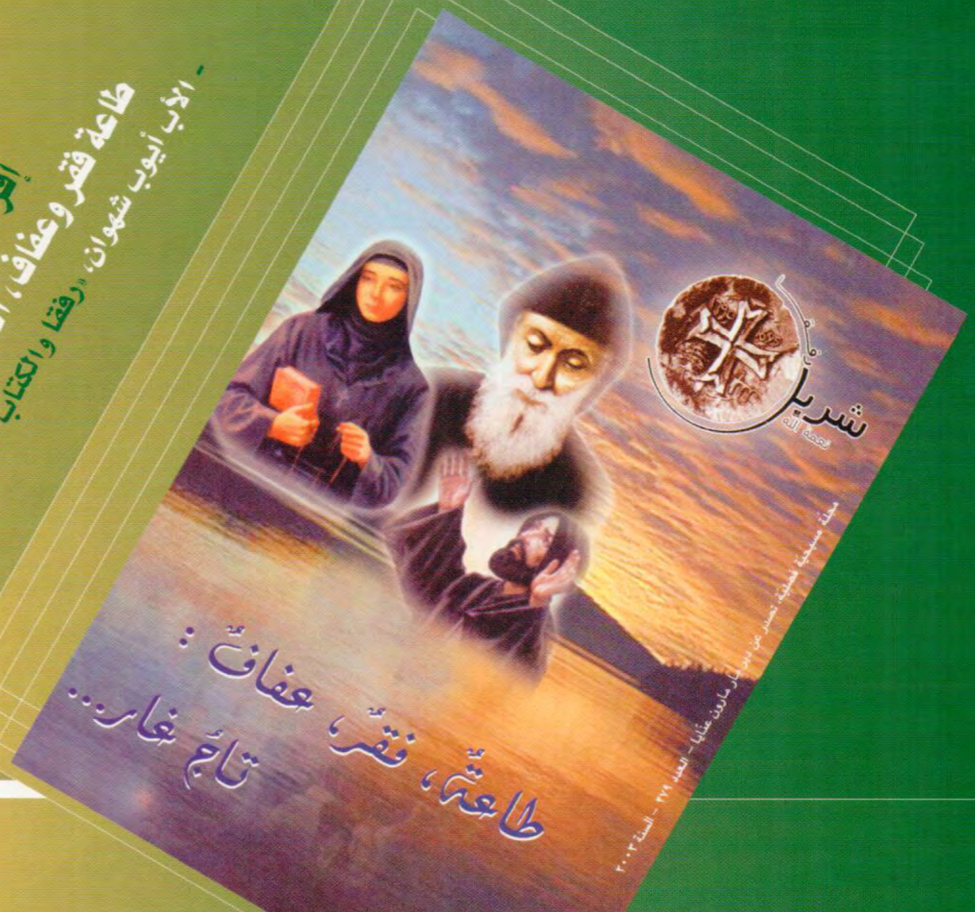

إقرأ في مجلة البشرى:
العدد ٢٣ - ٢٠٠٣

- الأب سامي حلاق، «من هم آباء الكنيسة»، ص ١.
- الأب لويس ساكو، «الآباء الرسوليون - اغناطيوس الانطاكي»، ص ٦.
- الخوري بولس الفغالي، «آباء الكنيسة والكتاب المقدس»، ص ١١.

إعلان السرّ المسيحانيّ في أف ٣:١-١٣

رسول الأمم وكتابات اليهودية الأولى

دانيال عيوش

يأتي الكلام عن "سرّ المسيح" (باليونانية mystérion toû Christoû) في أف ٣: ٤، أيّ في مقطع من الرسالة يتميز بسبب إهتمام الرسول بتفسير مقصد هذا السرّ للمؤمنين. ويجد المفسّرون أن استعمال الكاتب لكلمة "سرّ" مبنيٌّ على تعاليم أسراريّة وغنوصيّة يعود أصلها إلى الثقافة الهلينستيّة، فيعتبرون أنّ واضع الرسالة تبنّى هذه الاعتقادات من أجل شرح الايمان بالمسيح[1]. في هذه المقالة نعرض الرأي الآخر لهذه المسألة في محاولة تفسير أبعاد السرّ المسيحانيّ بالمقارنة مع نصوص اليهوديّة الأولى، وذلك لأنّ الكتابات البولسيّة تتجذّر في تقليد العهد القديم مضمونًا، وإن كانت تلتجئ إلى بعض الأساليب اللغويّة والفلسفيّة الهلينستيّة شكلاً[2].

السرّ في رسائل بولس

ترد العبارة "سرّ" ٢٨ مرة في العهد الجديد؛ ثلاث مرات في قول مشترك للإزائيّين الثلاثة[3]، ٢١ مرة في الديوان البولسيّ[4]، و٤ مرات في رؤيا القديس يوحنا[5]. تساعدنا هذه المعلومات الإحصائية على أن نستنتج أنّ العبارة "سرّ" هي بولسيّة بامتياز، ولذا كانت الرسائل البولسية المكان الأفضل لفهم معنى هذا المصطلح الأساسيّ. ترد كلمة «سر» ٩ مرات في الرسائل الأصليّة، و١٢ مرّة في الرسائل المنسوبة إلى بولس، وخصوصاً في أفسس (٦ مرات) وكولوسي (٤ مرات)[6].

١- Conzelmann / Lindemann, *Arbeitsbuch zum Neuen Testament* (UTB), Tübingen, [12]1988, 300-302; Bornkamn, G., "Mysterion", in: *ThWNT* IV, 818-820; Goetzmann, J., Sabiduria, "Necedad", in: *DTNT* IV, 126s. Pokorny, P., *Der Epheserbrief und die Gnosis*, Berlin, 1956 (نجد عند بوكورني دراسة مفصلة لهذا الموضوع في رسالة أفسس).

٢- لئن كان بولس يستعمل عبارات وأفكار هلينستية ووثنية (مثل فعل "يرمز" – allegoreo – في غل ٤: ٢٤، وعبارة "ملء" – pleroma – في أف ١: ٢٣؛ ٣: ١٩)، إلا أنّ هذه العبارات والأفكار وظيفتها أن تساعد القارئ الذي هو من أصل غير يهودي أن يفهم ويقبل البشارة بالمسيح يسوع. يعبر القديس بولس نفسه عن هذا المبدأ الأساسي لطريقة تعليمه في ١كور ٩: ٢١-٢٣. أنظر في هذا الخصوص: طرزي، بولس، **مدخل إلى العهد الجديد**، الجزء الأول: **بولس ومرقس**، بيروت، ٢٠٠١، ٢١-٢٧؛ Cothenet, E., *San Pablo en su tiempo* (CB 26), Estella (Navarra) 1988, 22-24

٣- في مت ١٣: ١١؛ مر ٤: ١١؛ لو ٨: ١٠.

٤- في روم ١١: ٢٥؛ ١٦: ٢٥؛ ١كور ٢: ١؛ ٢: ٧؛ ٤: ١؛ ١٣: ٢؛ ١٤: ٢؛ ١٥: ٥١؛ أف ١: ٩؛ ٣: ٣؛ ٣: ٤؛ ٣: ٩؛ ٥: ٣٢؛ ٦: ١٩؛ كول ١: ٢٦ي؛ ٢: ٢؛ ٤: ٣؛ ٢تس ٢: ٧؛ ١تي ٣: ٩؛ ٣: ١٦.

٥- في رؤ ١: ٢٠؛ ١٠: ٧؛ ١٧: ٥، ٧.

٦- للمزيد من المعلومات حول المصطلح "سرّ" في الرسائل البولسيّة ومدى تأثّر الكاتب من الأدب الحكميّ الرؤيويّ اليهوديّ راجع مقالتي: "سرّ الحكمة في الرسائل البولسية"، في: الفغالي، بولس (محرر)، **بولس ورسائله** (د.ب. ٢٣)، بيروت، ٢٠٠١، ٣٤٥-٣٥٧.

السرّ المكتوم منذ الدهور

بعدما عرضنا هذه المعلومات الإحصائيّة واللغويّة، يمكننا أن ننتقل إلى تحليل أف ٣: ١-١٣. يأتي السرّ في هذا المقطع الكتابيّ كمعرفة تنبثق عن الله وتشير دائمًا إلى عمل يسوع المسيح وخصوصًا إلى آلامه وقيامته، كما يؤكّد الكاتب نفسه في المقطع السابق وخصوصًا في أف ٢: ١٥-١٦. هذا السرّ أُعِدّ قبل خلق العالم، وبقِي خفيًا منذ بدء الدهور، كما نقرأ في ٣: ٩: "وأنير الجميع في ما هو شركة السرّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح."[٧] في هذا الخصوص نجد طرحًا شبيهًا في ٤٨: ٦-٧ من كتاب أخنوخ الأثيوبي الذي ينتمي إلى الأدب الحكميّ الرؤيويّ اليهوديّ. يقول كتاب أخنوخ أنّ المختارَ يأتي بالأحكام التي أوكله الله بها لكشف سرّ الحكمة الإلهية المعدّ منذ ما قبل الخليقة:[٨] "لهذا صار (ابن الانسان)[٩] المختارَ، وذاك كان خفيًا لديه قبل خلق العالم وحتى مجيء الدهر ولكن حكمة رب الأرواح كشفتْه للقديسين والأبرار."[١٠]

السرّ والمستمعون إليه

والسرّ، بالعودة إلى القديس بولس، ليس سرًّا لأنّ الله أدركه في الخفيّ فحسب، بل أيضًا لأنّه يحتوي على أمور لا تخطر على بال الشعب المؤمن القديم وهي أنّ السرّ الإلهيّ تجسَّد وانتشر في العالم لخير جميع الأمم: "(السرّ) الذي في أجيالٍ أُخَرَ لم يُعرَّف به بنو البشر كما قد أُعلِن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح: أنَّ الأممَ شركاءُ في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل" (أف ٣: ٥-٦). وإذا كانت المسكونة كلها شريكة في الميراث، فالسرّ الإلهيّ صار يهمّ الخليقة بأسرها.[١١] بإعلان هذا السرّ يُفهَم عمل الخلق وغايته، البداية والنهاية (كول ١: ١٥-٢٠). الحقيقة كلّها تُقرأ بطريقة جديدة. لهذا تبلغ الأزمنة، في إعلان السرّ الإلهي، نهايتها (أف١: ١٠)، لتبدأ حقبة جديدة.[١٢]

السرّ وحامله

ثمة جانب أساسيّ للسرّ بحسب القديس بولس، وهو مشاركة الرسول، في عمل الخلاص من خلال إعلان سرّ المسيح للأمم. هذا ما يتطرق إليه واضع الرسالة في أف ٣: ٧-٨ و٦: ١٩-٢٠، فيُعتبَر بولس "خادمًا" للإنجيل الذي به يُعلَن السرّ، و"مبشِّرًا" بين الأمم بهذا السرّ حتى يمتدّ عمل المسيح الخلاصيّ بواسطة بولس، "السفير في السلاسل"، إلى كل البشر.[١٣] وفي أسفار الأدب الرؤيوي اليهودي نجد أيضًا أنّ حامل الإعلان يلعب دورًا جوهريًّا وتأسيسيًّا في مضمون السرّ وإعلانه. هذا ما نقرأه مثلاً في رؤيا باروك السريانية ٨١: ٤ - ٨٢: ١ حيث يؤكِّد الكاتب دوره كحامل السرّ الإلهيّ: "فصنع القدير بحسب كثرة رحمته، والعليّ بحسب عظمة حنانه. كشف لي كلمة كي أتعزّى... وعرّفني أسرار الأزمنة... لهذا كتبتُ إليكم، يا إخوتي، كي تتعزّوا من وفرة الضيقات".[١٤]

٧- راجع أيضًا روم ١٦: ٢٥؛ ١كور ٢: ٨؛ كول ١: ٢٦.

٨- في خصوص انتظار المسيح في النصوص الرؤيوية الحكمية، راجع أيضًا ١أخن ٤٩: ٢-٣؛ ٥١: ٣؛ دا ٧: ١٣-١٤؛ قمران / نج ٩: ١١؛ رؤباس ٢٩-٣٠.

٩- راجع الآية ٢.

١٠- يجدر الذكر أن كل الاستشهادات من كتابات اليهودية الأولى الواردة في هذه المقالة مأخوذة من ترجمة الأب بولس الفغالي في السلسة "على هامش الكتاب" المنشورة في الرابطة الكتابية.

١١- راجع كول ١: ١٥-٢٠. لاحقًا يسمي كول ١: ٢٤-٢٩ عمل المسيح هذا "سر الله المعلن في قديسيه".

١٢- نجد في الأدب الرؤيوي الحكمي المقاربة ذاتها لهذا الموضوع بحيث أنّ إعلان السرّ حدث عالميّ يخص البشرية كلها كما نقرأ في قمران/ نج ٣: ١٥-١٧؛ ٤: ١٨-٢٣؛ ٤عزرا ١٤: ٥؛ ١أخن ٦١: ٥.

١٣- أنظر مثلا روم ١٦: ٢٥-٢٧؛ ١كور ٢: ١؛ أف ٦: ١٩؛ كول ١: ٢٤-٢٩ ١تي ٣: ١٦.

١٤- راجع أيضًا قمران/فحب ٧: ١-١٧؛ دا ١٢: ٤ و ٨-١٣.

السرّ والحكمة الإلهية

من ميزات السرّ المهمّة عند القديس بولس علاقته المباشرة بحكمة الله. بهذه الطريقة يقدّم القديس بولس إلى المؤمنين نظرة جديدة إلى العالم لا علاقة لها بالهوى أو الظرف لأنّها لا تصدر عن عقل بشريّ، بل تنبثق من الحكمة الأزليّة السماويّة التي أراد الله إعلانها الآن كما يقول في أف ٣: ١٠-١١: "لكي يعرّف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا."[١٥] يوضّح الكاتب هنا أنّ تعليم الرسول ليس تغيير خطة في التدبير الإلهي بل إتمامًا لإرادته، ويؤكّد أنّ حكمة الله هذه لم ينلها الرسول عن طريق التنظير البشريّ بل عن طريق إعلان يسوع المسيح إلى عبيده الرسل وإلى كل الكنيسة. وأخيرًا يجدر الذكر أنّ السرّ المعلَن بالتبشير لا يعطي للمؤمن حكمةً من أجل القدوم إلى الرب فحسب، بل يعطي أيضًا حكمةً بالمعنى العمليّ للكلمة، أي طريقة جديدة للعيش لكي يعرف المؤمن أنْ لا يكلّ في الشدائد ويظهر كاملاً أمام المسيح حين يأتي (أف ٣: ١٢-٣١).[١٦] وفي الأدب الرؤيوي الحكمي نجد أيضًا مبدأ العلاقة بين السر والحكمة، كما يقول، في سبيل المثال، سفر أخنوخ الأول ٥١: ٣: "في ذلك الوقت يجلس المختار على عرش الله، بفمه تعلن كل أسرار الحكمة لأنّ رب الأرواح أعطاه إياها ومجّده."[١٧]

خاتمة

يعلن بولس الرسول في أفسس السرّ المسيحاني إلى كل الأمم بناءً على أقوال يسوع المسيح وأعماله وتلبيةً لرجاء الشعب المنتظر والمؤمن بكلام الأنبياء الأبرار. وفي قلب هذا السرّ نجد الصليب الذي به فتح الله وعده بالخلاص إلى كل الأمم، ووحّدهم في إنسان جديد لا يعرف غريبًا ولا عدوًّا بل يعيش بالسلام مع القريب (أف ٢: ١١-١٦). لم يكن أحد يعرف هذا السرّ. حتى الشعب المؤمن في العهد القديم الذي كان يعرف محبّة الله ورحمته وكان ينتظر أعمال الله الخارقة، لم يعرف مدى تأثير هذا السرّ. الله وحده يعرفه بحكمته منذ الدهور وقرّر كشفه للبشر بواسطة المسيح وخدّامه الرسل. الآن الكلّ مدعوّ إلى الخلاص والسرّ يُعطَى لِمَن ينتظره بقناعة وإيمان.

القديس بولس مُغرقٌ أبداً في السر الإلهي.
رسم للفنان الفرنسي أندريه بونوفيه — André Beauneveu de Valenciennes (النصف الثاني من القرن الرابع عشر)، محفوظة في باريس، فرنسا.

١٥- راجع أيضًا روم ١٦: ٢٥-٢٧؛ ١كور ٢: ٦-٩؛ كول ١: ٢٤-٢٩.

١٦- ثمة نصوص أخرى مهمة تربط الحكمة بالسرّ، وهي روم ١١: ٢٥-٣٦؛ أف ١: ٧-١٢؛ كول ٢: ١-٣؛ ٤: ٢-٥.

١٧- راجع أيضًا قمران/نج ٤: ١٨.

جديد الخوري

بيوس عفاص

(العراق)

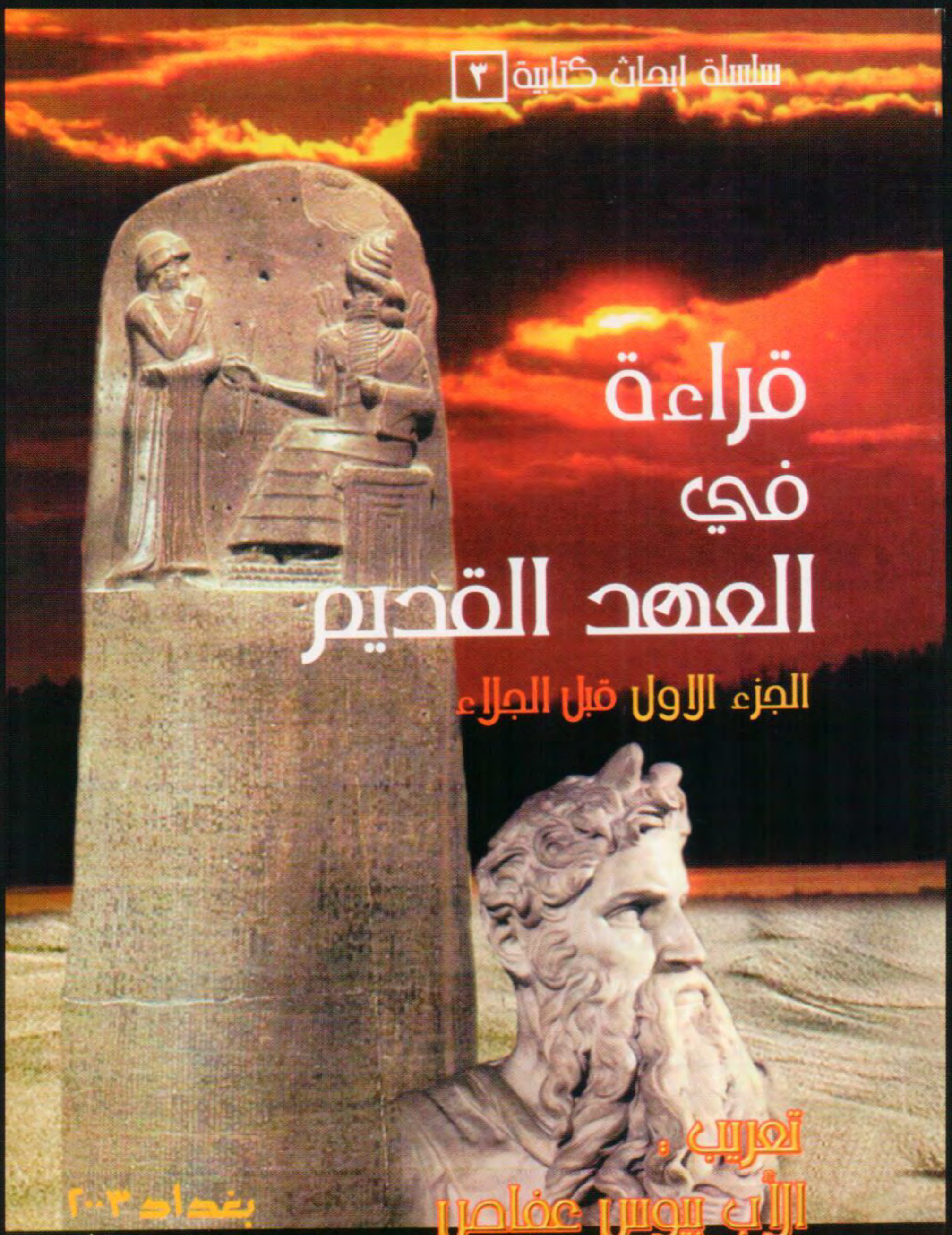

ببيليا للنشر

القيامة والمصالحة

أف ٣: ١-٢٢

الأب نجم شهوان (ر.ل.م.)

مقدّمة

يُقال بأنّ رسالة بولس إلى أهل أفسس لم تكن موجّهة إلى أهل أفسس فقط، بل إلى كلّ الجماعات المؤمنة الموجودة في مقاطعة آسيا. وهي بالتالي ليست جوابًا مباشرًا على تساؤلات ومشاكل عالقة، وهي تُعتَبر بالتالي الأكثر نَسَقًا والأجمل أسلوبًا. فالموضوع الأساسي في هذه الرسالة هو الكنيسة، جسد المسيح، في بعدها المسكوني، بحيث يجتمع اليهود واليونانيّون فيها ويتّحدون، ليؤلّفوا بشريّة جديدة (٢: ١١-١٢، ١٥-١٦)، عائلة واحدة (١: ٥؛ ٢: ١٩؛ ٤: ٦؛ ٥: ١)، وفيها تُلغى كلُّ العوائق التي كدّسها الناس. فبوحدتهم الحيّة في المسيح (١٢٠ مرّة في هذه الرسالة) يتحوّل المؤمنون بصورة تصاعديّة.

القسم اللاهوتي من الرسالة (فصل١-٣) يبيّن امتيازات المسيحيّين، بفضل عمل الآب، والابن، والروح القدس (١: ٣-١٤)، ليكون شعب الله الجديد (٢:١-١٠)، مصالحًا اليهود والوثنيّين (٢:١١-٢٢). في هذا العرض يدخل بين هلالَين موضوع خدمة بولس لصالح الشعب الجديد (٣: ١-١٣)، بالإضافة إلى صَلاتَين لأجله (١: ١٥-٢٣؛ ٣:١٤-٢١). وأمّا القسم العملي (ف ٤-٦) فيعرض المسؤوليّات التي تتأتّى من هذه الامتيازات: مُلزِمات روحيّة -الحفاظ على الوحدة بالروح (٤:١-١٦) - ملزمات أدبيّة - الإقلاع عن السيرة الوثنيّة (٤:١٧-٥: ٢٠)؛ ومُلزمات منْزليّة - علاقات جديدة بين الرجال والنساء، الأهل والأولاد، الأسياد والعبيد (٥: ٢١-٦: ٩)؛ وأخيرًا الحياة الجديدة هي صراع دائم (٦: ١٠-٢٠).

هناك عنوانان يحيطان بالفصل الثاني، "مجّانيّة الخلاص بالمسيح" (٢:١-١٠)، و"مصالحة في المسيح بين اليهود والأمم" (٢: ١١-٢٢). فبناءً عليهما يتبيّن بأنّ المسيح هو الوسيط الأوحد للخلاص والمصالحة، كما ورد في رسالة بولس إلى تلميذه طيموتاوس (١طم ٢: ٥). تتطرّق هذه الرسالة إلى معالجة موضوع الخلاف القائم بين ما هو من العالم اليهودي، وبين ما هو من العالم الوثني، فإن كان بولس الإناء المختار (رسل ٩:١٥) ليكون رسول الأمم (روم ١١: ١٣)، فكم عليه أن يتألّم، كما تنبّأ الربّ يسوع على مسامع حننيا (رسل ٩: ١٦)، ليحمل اسمه إلى الأمم، تمامًا كما عبّر عن ذلك بطرس الرسول أيضًا (رسل ٥١: ٧).

نطالع في تعليم بولس حول موضوع الحالة، أي الانتقال من وضع إلى آخر، وهذا كما هو معلوم من صنع الله، الذي بطبيعته يخلق ويمنح الحياة، ويحوّل الجوهر، لذلك يأتي موضوع المصالحة من أهمّ التحوّلات في حياة الإنسان. مَنْ يستطيع أن يخلق من عدم غير الله (رج تك ١ي)؟ مَنْ يستطيع أن يحوّل الماء خمرًا (يو ٤: ٤٦)، وأن يحوّل الخمر دمًا (لو ٢٢: ٢٠) غير ابن الله؟ ومَنْ يقدر أن

يجعل من الخبز جسدًا ومن الخمر دمًا سوى روح الله، كما نطالع في صلوات النوافير التي تصلّيها الكنيسة؟ لو كان موضوع المصالحة ممكنًا بواسطة البشر لَما تجسّد المسيح ليموت ويقتل الخطيئة والإنسان القديم بجسده، ويقيمه معه إلى حياة أبديّة (١قو ١٥: ٢١، ٤٢؛ ٢طم ٢: ١٨).

١. مدينة أفسس

تأسّست مدينة أفسس سنة ١٣٣ ق. م. كعاصمة للأمبراطوريّة الرومانيّة تابعة لبرغامس، وصلة وصل بين الشرق والغرب، ثمّ أصبحت تابعة لروما. شغلت أفسس دور المحور الثقافي مع هيرقليتس، والفنّ المعماري، كهيكل أرتميس، إحدى عجائب الدنيا السّبع[1]. ضمّت هذه المدينة العديد من الأديان اليونانيّة، والرومانيّة واليهوديّة، وهكذا أصبحت المركز المسيحي الأمّ على أثر تبشير بولس الرسول في آسيا الصغرى (رسل ١٨: ١٩، ٢١؛ ١٩؛ ٢٠: ١٦ي؛ ٢١: ٢٩؛ ١قو ١٥: ٣٢؛ ١٦: ٨؛ أف ١: ١؛ ١طيم ١: ٣؛ ٢طيم ١: ١٨؛ ٤: ١٢؛ رؤ ١: ١١؛ ٢: ١).

لم يتعرّف الأفسسيّون إلى المسيح سوى مع وجه بولس الرسول، وذلك لدى وصوله إلى أفسس سنة ٥٢ م (رسل ١٨: ١٨-٢١)، وكانت المدينة شهيرة بمرفأها، بمسرحها الروماني، وبمكتبتها[2]. سكن فيها بولس مدّة سنتَين، وبشّر لفترة ستّة أشهر، وبخاصّة في المجمع اليهودي، بحيث كانت الجالية اليهوديّة ذات ثقل ديمغرافي وامتيازات عالية. فمن هذه المدينة التجاريّة اقتصاديًا وفكريًا، انطلقت الحركة التبشيريّة المسيحيّة نحو قولوسّي ونحو اللاذقيّة (قول ١: ١-٢؛ ٤: ١٦). لم تكن مهمّة بولس في هذه الأصقاع مسهّلةً، فلقد لاقته متاعب عديدة (رسل ١٩: ٢٣-٤١)، وفي رسالته إلى أهل قورنتس نطالع بعضًا منها (١قو ١٦: ٨-٩)، ولهذا كان في حرب: "إنْ كنتُ كبشرٍ صارعتُ الوحوش في أفسس" (١قو ١٥:٣٢)، وربّما في أفسس كتب إلى أهل قورنتس (١قو ١٦: ٨). نالت مدينة أفسس مجدًا كبيرًا، بحيث أنّ اغناطيوس الأنطاكي قد وصفها كونها مركزًا مسيحيًا مشهورةً بأمانتها وبوفائها[3]. لقد خرّب المدينة جماعة الغوطيّين سنة ٢٦٢، ب.م. يقول التقليد بأنّ مريم العذراء، أمّ يسوع، قد سكنت في أيّامها الأخيرة في هذه المدينة، إذ أخذها التلميذ المحبوب (يو ١٩: ٢٦، ٢٧؛ ٢١: ٧،٢٠)، يوحنّا الرسول، إلى منْزله، خاصّة وأنّه قضى هو نفسه في جزيرة بطمس من هذه المدينة أيّامه الأخيرة. ويكفي هذه المدينة فخرًا أنّه منها أعلن آباء مجمع أفسس (٤٣١) العقيدة الكريستولوجيّة – المريميّة.

٢. سياسة بولس التبشيريّة

يعتمد بولس في رسائله على تثبيت ما قد علّم علنًا وبشّر، فالرسائل التعليميّة التي أرسلها كانت بمثابة تذكير بما قد قال وأعلن. إنّ الفرق بين أهل أفسس وبيننا هو أنّهم عاشوا حدث البشارة، وحصلوا أيضًا على رسالة لتثبيت قانونيّة التعليم، وقد أتت كشهادة حيّة من الرسول المبشِّر. ذهب سامعو بولس من هذا الوجود، كما قد ذهب هو، ولكنّ العامل المشترك بين الأفسسيّين اليوم وبيننا هو الرسالة، ولكنّهم يفوقوننا بالافتخار. كانت سياسة بولس في عمله التبشيري أن يلفت النظر إلى ما كان وإلى الحاضر، بهدف إبراز الفرق بين ما كان قبل المسيح وما صار بعده. هذه الطريقة الأدبيّة فعّالة، لأنّ المقارنة تُبرِز الهويّة، كما القيمة والفرق بين عُنصرَي المقارنة؛ وهكذا يمكن الكلام على موت الخطيئة وعلى مجد المسيح[4].

هذا التدبير في جذب السامعين واستقطابهم كان الوسيلة المتّبعة في حينها، إذ لم يكن بعد من وسائل اتّصال

1- X. LEON-DUFOUR, *Dictionnaire du Nouveau Testament*, éd. du Seuil, Paris 1996, "Ephèse", p. 237-238.
2- J. BOWKER, *Le Grand Livre de la Bible*, "Ephèse", éd. Larousse/Cerf, Paris 1999, p. 398-399.
3- Ignace d'Antioche, *Aux Ephésiens* 8-9.
4-J.-N. ALETTI, *Saint Paul, épître aux Éphésiens, Introduction, traduction et commentaire,* dans "Études Bibliques", Nouvelle Série, No 42, éd. J. Gabalda et Cie, Paris 2001, p. 114.

سوى المشاهدة بأمّ العين والمراسلة؛ أمّا وقد حلّت الصورةُ المرئيّة، أي الكائن الموجود، صورةً على الورق مكان المجسّم، وعلى الشاشة بأشكالها، وحلّ الصّوت عبر الخطوط السلكيّة واللاسلكيّة مكان الجسم الحاضر يتكلّم. فهذا الفصل بين الجسد والصوت، وبين الصورة والكيان، مع الحفاظ على الجوهر، نقلنا إلى الماضي لنرى الأفسسيّين على ضوء اليوم، ونحتفظ بروح النصّ، كما قد نقل بولس أرواحهم وعقولهم وأفكارهم من الماضي إلى المسيح الحاضر والجديد أبدًا، لأنّ المسيح لا يعتُق ولا يبلى، بل هو هو أمس واليوم وإلى الأبد (عب ١٣: ٨)، وكان الهدف الحثّ على الإيمان وتعزيز حضور المسيح القائم من الموت. مَنْ يقدر أن يجمع بين الماضي والحاضر في آن، وبين التواريخ المتباعدة كافّة سوى صانع الزمان والتاريخ؟ هكذا أتى موضوع الذاكرة في رسائل بولس جدِّيًّا، وموضوع الإيمان داعماً له، لكي يكون المسيح هو نفسُه فاعل المصالحة للأزمنة البشريّة، ومحقّق المصالحة للعقول المفكّرة.

٣. بولس يكمّل عمل البشارة

لم يعرف الأفسسيّون المسيح، كما عرفه أبناء بيئته ومحيطه، بل عرفوه بالواسطة، كما قد عرف العالمُ الآبَ بواسطة الوحيد ابنه (رج يو ١٤: ١٩). على هذا النحو جاء بولس وسيطًا بين المسيح، الذي اختاره للبشارة، وبين الأمم، فكان سفيرًا للمسيح (أف ٦: ٢٠)، يحمل بأمانة رسالة المسيح إلى الأفسسيّين. فإنْ كان المسيح قد انتقاه له، جاء عمل بولس مكمِّلاً لِما قد أنشأه يسوع وعمله، كما قد فعل يسوعُ نفسُه، حيث جاء على لسانه، بحسب إنجيل متّى: "ما جئتُ لأنقض بل لأكمِّل" (٥: ١٧). فانطلاقًا من رسالة يسوع، الذي جاء يعمل إرادة مَنْ أرسله (يو ٤: ٣٤؛ ٥: ٣٠؛ ٦: ٣٨، ٣٩)، سار بولس المسار نفسَه، لكي يعمل مرضاة سيّده يسوع، إذ اعتبر التعرُّف إليه هو كلّ شيء، بالمقارنة مع كلّ ما يملك (فل ٣: ٨).

فهل يمكن أن لا يكون بولسُ رسولاً ليسوع (روم ١: ١؛ ١١: ١٣؛ ١قو ١: ١؛ ١قو ٩: ١، ٢؛ ١قو ١٥: ٩؛ ٢قو ١: ١؛ ٢قو ١٢: ١٢؛ غل ١: ١؛ ٢: ٨؛ أف ١: ١؛ قول ١: ١؛ ١طم ١: ١؛ ١ ٢: ٧؛ ٢طم ١: ١، ١١؛ طي ١: ١)، وهو الذي اعتبر نفسه خادمًا وعبدًا للمسيح (روم ١: ١؛ غل ١: ١٠؛ طي ١: ١)، رسولِ الآب، وقد جاء ليخدم؟ (متّى ٢٠: ٢٨؛ مر ١٠: ٤٥). انطلاقًا من هذا العرض يصبح بولسُ رسولَ المصالحة، لأنّه يشهد على قيامة المسيح من بين الأموات (روم ٦: ٤؛ ١قو ١٥: ١٢، ٢٠)، وبعمله هذا يحقّق رسالة يسوع الخلاصيّة، أي تبشير العالم بالخلاص. هكذا يظهر بولس مكمِّلاً لعمل البشارة الذي بدأه يسوع بالدعوة إلى التوبة، وبإعلان الملكوت الجديد.

٤. المصالحة ثمرة القيامة

في القسم الأوّل من الفصل الثاني في رسالته إلى أفسس (٢: ١–١٠)، نجد فكرة أساسيّة تقول: "كنتم أمواتًا بزلاّتكم وخطاياكم" (٢: ١)، وهي تتكرّر في الفصل نفسه (٢: ٥)؛ يقابلها "غمر الرحمة والنعمة" (٢: ٤) التي تتكرّر أيضًا في ٢: ٨، وينتهي هذا العرض–المقارنة، ليدعو أهلَ أفسس إلى الاعتراف بنعمة الله المجّانيّة، وذلك عبر الإيمان (٢: ٨–٩) وعبر الأعمال (٢: ١٠). يشدّد بولس في عرض نصِّه هذا على أنّ المسيح هو حلقة الوسط، الذي قام من الموت بذراع الله الآب، حيث يقول: "أحيانا مع المسيح، ومعه أقامنا وأجلسنا في السماوات في المسيح يسوع" (٢: ٦). فهل يجلسنا مع ابنه لو لم يقمه من مثوى الأموات أوّلاً، لتصبح عندئذٍ المصالحة ممكنة؟ هكذا تأتي المصالحة ثمرة لقيامة يسوع، الذي أهّلنا لدخول جنّة عدن التي فقدها آدم بالمعصية. ليست المصالحة خارجةً عن يسوع، فهو الذي حقّق مبادرة الآب، بأن يصالح العالم مع والده[5]. لأجل هذا تأتي المصالحة حاجة للبشريّة لئلاّ تهلك، لأنّ المصالحة هي تعبير عن الاتصال

5- ALETTI, *Épître aux Éphésiens,* p. 115.

بمعطي الحياة، فإن كان آدم الأوّل روحًا حيّة، فالمسيح، آدم الثاني، هو روح محيي (١قو ١٥: ٤٥).

تكلّم بولس في رسائله كثيرًا عن موضوع المصالحة، مُبرزًا المسيح وكأنّه الخادم الأوّل للمصالحة، وقد جاء في الرسالة إلى العبرانيّين بأنّ المسيح هو وسيط عهد جديد (٩: ١٥). نقرأ في رسالة بولس إلى أهل قولسّي: "لأنّ الملء كلّه رضي أن يسكن فيه، ويصالح به وإليه كلَّ شيء... قد صالحكم الآن في جسده البشريّ بموته، ليقيمكم في حضرته قدّيسين، لا عيب فيكم، ولا شكوى عليكم" (١: ١٩-٢٠، ٢٢) . وفي رسالته إلى أهل روما، يشدّد بولس على وساطة يسوع في تحقيق المصالحة: "بل نفتخر أيضًا بالله بواسطة ربّنا يسوع المسيح، الذي به نلنا الآن المصالحة" (٥: ١١). وفي الرسالة نفسها يجمع بولس بين المصالحة والقيامة: "فإن كان إبعادُهم مصالحة للعالم، فماذا يكون قبولهم إلاَّ حياةً من بين الأموات؟" (١١: ١٥). وأمّا في رسالته الثانية إلى أهل قورنتس فيعزى بولس شأن المصالحة إلى الله: "وكلُّ شيءٍ هو من الله، الذي صالحنا مع نفسه بالمسيح، وأعطانا خدمة المصالحة، لأنَّ الله صالح العالم مع نفسه بالمسيح، ولم يحاسب الناس على زلاّتهم، وأودعنا خدمة المصالحة" (٥: ١٨-١٩).

في مطالعة الرسالة إلى أهل روما (٦: ١-١٤)، والرسالة إلى أهل قولسّي (٢: ٨-١٣)، والرسالة إلى أهل أفسس (٢: ١-١٠)، نلاحظ أنّ النصّ إلى أهل روما هو في أساس الرسالتين التابعتين، والملاحظ أيضًا هو الرسالة إلى أهل قولسي التي تلعب دور الصلة بين الاثنين. فالآيتان ١ و ٥ ب من الفصل الثاني في أفسس تذكّران بالآية ١٣ من الفصل الثاني إلى قولوسي[6]. فهل تكون رسائل بولس متكرّرة، أو متشابهة، أم إزائيّة؟ في هذه الآيات فقط يظهر شيء مماثل، ولكنَّ الأهمّ هو تواصل أفكار بولس من رسالة إلى أخرى، لأنّه بها راح يعزّز مدرسته التوجيهيّة، في العقيدة وفي الممارسة.

يظهر بوضوح موضوع موت المسيح وقيامته كضمانة للمصالحة (رج روم ٥: ١٠) بين اليهود أنفسهم، وبينهم وبين الأمم، لأنّ المصالحة هي ثمرة موت المسيح البريء، الذي "فُصِل عن الخطأة، وصار أعلى من السماوات" (عب ٧: ٢٦)، فبدمه فقط برّ المسكونة وفداها (رج أف ١: ٧، ١٤؛ عب ٩: ١٢؛ قول ١: ١٤؛ روم ٣: ٢٤؛ ٨: ٢٣؛ ١قو ١: ٣٠؛ أف ٤: ٣٠). في هذا الإطار من الممكن أن يكون موضوع المصالحة هو التبرير بالإيمان (روم ٣: ٢٢)، بدل الشريعة، لأنّه لا الثيران ولا الذبائح، ولا أيّ شيء يبرّر الإنسان سوى دم يسوع الضحيّة البريئة التي قُدِّمتْ على الصّليب لفداء الجنس البشري بأسره. هكذا يكون المعمَّد مدعوًّا ليكون ابنًا لله، بواسطة يسوع ابن الله، ليشترك في موته وفي قيامته إلى حياة جديدة لا عيب فيها ولا غضن.

٥. هيكل أورشليم: من الفصل إلى التلاقي

بُني هيكل أورشليم على يد سليمان الحكيم سنة ٩٦٠ ق.م. (١مل ٥: ١٦-٨: ٤٣)، ولكنّه تعرّض للهدم على يد نبوكدنصّر، ملك بابل، مع كلّ ما يحتويه من تابوت العهد وغيره، سنة ٥٨٧. وبُني مرّة أخرى بعد السبي إلى بابل (٥٢٠ – ٥١٥ ق.م.)، فعاد ودنّسه الملك اليوناني أنطوكيوس الأبيفاني سنة ١٦٧ ق.م.، إذ قدّم فيه ذبائح للإله زيوس، فطهّره المكابيّون سنة ١٦٤ ق.م.، وهذا ما خلق عيد التجديد للهيكل، أو ما يُعرف بـ "هَنُوكاه". ثم عاد فأهّله هيرودس الكبير ابتداءً من سنة ٢٠ ق.م. واستمرّ العمل الترميمي حتّى سنة ٦٢ ب.م.، وما نَعِمَ به أبناؤه، لأنه تهدّم نهائيًّا وما زال في ٢٨ آب سنة ٧٠ ب.م. على يد طيطس[7].

6- J.-N. ALETTI, *Épître aux Éphésiens,* p. 116-117.
7- *La Bible est un trésor,* éd. Fleurus, Lyon 1994, "Temple de Jérusalem", p. 552.

تساعدنا هندسة هيكل أورشليم الداخليّة على فهم ما قد حُفِر في ذهن اليهودي، أي الفصل القائم بين المختونين وأصحاب القلف. فكلام بولس في رسالته إلى أهل أفسس (٢: ١٤) حول موضوع الجدار القائم هي إشارة إلى هذا المكان الموجود على الأرض، وما وجوده سوى بهدف أن يكون موجودًا في الأذهان، لكي يتكرّس الفصل بين اليهود والوثنيّين (رج رسل ٢١: ٢٨-٢٩). من الممكن أن نفهم بهذا الفصل أيضًا موضوع شريعة موسى (أف ٢: ١٥)، وهذا ما عزّز فعل الخطيئة، أي العداوة بين الله والناس (٢: ١٤، ١٦).

فكما كانت الهندسة الداخليّة توحي بالفصل والتمييز بين اليهود والأمم[8]، كذلك في العلاقات بينهم وبين الأمم سيكون هناك جدار فاصل (أف ٢: ١٤)، وهو العداوة. هناك بعض النصوص من العهد الجديد التي تشهد على هذه الحقيقة (رج متّى ٧: ٦)، خاصّة لدى الكلام على مَنْ ليسوا بيهود، إذ يُسمَّون "وثنيّين" للدلالة على هذا الواقع القائم بين أبناء العهد وأبناء هذا العالم (رسل ١٠: ٤٥؛ ١١: ١، ١٨؛ ١٣: ٤٦، ٤٨؛ ١٤، ٢، ٥، ؛ ٢٧؛ ١٥: ٣، ٥، ٧، ١٢، ١٤، ١٩؛ ١٨: ٦؛ ٢١، ١١، ١٩، ٢١، ٢٥؛ ٢٢، ٢١؛ ٢٦: ٢٠؛ ٢٨: ٢٨؛ روم ٢: ١٤، ٢٤؛ ٩: ٣٠؛ ١١: ١١، ١٢؛ ١قو ١: ٢٣؛ ١قو ٥: ١؛ ١قو ١٢: ٢؛ ٢قو ١١: ٢٦؛ غل ١: ١٦؛ ٢: ٢، ٨، ٩، ١٢، ١٤، ١٥؛ ٣: ٨، ١٤؛ أف ٢: ١١؛ ٣: ١، ٦، ٨؛ ٤: ١٧؛ قول ١: ٢٧؛ ١تس ٢: ١٦؛ ١تس ٤: ٥؛ ١طم ٢: ٧؛ ٢طم ٤: ١٧؛ ١بط ٤: ٣؛ رؤ ١١: ٢؛ ١٥: ٤؛ ١٩: ١٥)؛ أي الأمم الخارجة عن العهد مع الله، ليس كما هي الحال مع اليهود المنضوين تحت لواء العهد، وهذا ما عزّز الخلافات العقائديّة في ما بعد في الكنيسة، ولقد كانت بدايتها بين الرسل حول موضوع الانتماء إلى المسيحيّة، فكان مجمع أورشليم سنة ٤٩م (رسل ١٥: ١-٣٥؛ غل ٢: ١-١٠).

فإذا كان الإيمان بالربّ يسوع يرفع البرقع (رج ٢قو ٣: ١٤- ١٥)، فكم بالحري الاعتراف به أنّه قام من بين الأموات يرفع الجدار الفاصل بين الشعوب والمِلَل؟ وهذا ما عبّر عنه بولس في رسالته إلى أهل غلاطية، بحيث قال: "لا يهودي بعد ولا يوناني، لا عبد ولا حرّ، لا ذكر ولا أنثى، فإنّكم جميعًا واحدٌ في المسيح يسوع" (٣: ٢٨)، وذلك بهدف بناء جماعة واحدة ورعيّة واحدة للمسيح (يو ١٠: ١٦).

٦. جسد المسيح يسوع

إنَّ أجمل صورة عن الكنيسة قد عبّر عنها بولس الرسول بوصفها جسد، نقرأ عنها بخاصّة في رسالته الأولى إلى أهل قورنتس (١٢: ٢٧)، وإلى أهل أفسس (٤: ١٢)، ثمّ إلى أهل روما (١٢: ٥-٨)، وأفسس (١: ٢٣؛ ٤: ٤، ٢٥؛ ٥: ٣٠)؛ والأولى إلى قورنتس (١٠: ١٧؛ ١٢: ٧-١١). لدى الكلام على جسد المسيح في هذا الإطار، لا بُدَّ من الاطلاع على فكر مار بولس حول ميزات هذا الجسد وفضائله. فمن أهمّ تلك الميزات: الرسالة، النبوءة، البشارة، الرعاية، التعليم، ولكنّ الأهم على الإطلاق هي القداسة. فلو كان الكلام على جسد المسيح يسوع يطال البعد المادي لَما كان اختيار بولس من قِبَل الربّ يسوع القائم من الموت، والحال أنّ الهدف كان واضحًا منذ البداية في قصد الله، حين قال عنه لحننيا: "سيحمل إسمي إلى الأمم" (رسل ٩: ١٥).

خاتمة

تبدو محطّة بولس الرّسول في أفسس أولى خطواته نحو عالم آسيا الصغرى، منطقة تركيّا الحاليّة، ومنها إلى الأصقاع اليونانيّة والرومانيّة، في المنطق الجغرافي والمنطق الحضاري، إذ لم يوفّر وسيلة تربطه بالذين آمنوا إلاّ ولجأ إليها، لأنّه

8- *Id*, p. 552.

حمل همَّ البشارة حتّى الموت. فراح يبشّر بالمسيح القائم من الموت، لتكون القربى ممكنة بين كلّ هذه الحضارات والثقافات المتعدّدة والمختلفة، البالية والجديدة، ليلغي بالمسيح يسوع كلّ التناقضات، ويجعل من الجميع إخوةً لبعضهم البعض.

هذه المصالحة التي سعى بولس ليوطّدها على المسيح، حجر الزاوية (متى ٢١: ٤٢؛ مر ١٢: ١٠؛ لو ٢٠: ١٧؛ رسل ٤: ١١؛ ١بط ٢: ٧؛ أف ٢: ٢٠)، لم تكن ممكنة لو لم يكن الرسول مطّلعًا على الفكر اليوناني وفلسفته، على التيّارات الفكريّة التي كانت تجول المتوسّط مع الحركات التجاريّة. لقد استفاد بولس من كلّ هذه المعطيات ليجعل مكنة الإصلاح الاجتماعي بين اليهود واليونان والرومان ليس على المستوى العقائدي، بل على المستوى الإيماني المستنير بالمسيح، الذي بذل نفسه ليربح الجميع إلى حضن أبيه السماوي.

يستقرّ فكر بولس حول موضوع الإيمان، تلك العطيّة من الله (أف ٢: ٨)، وهي الكفيلة أن تنقل الأفسسيّين إلى الالتزام بالأعمال الصالحة، تلك التي أعدّها الله ليسلكوا فيها (٢: ١٠). هناك تكرار في الرسالة (٢: ١-٣، ١١-١٢)، وكان المقصود منه هو التذكير بما كان قبل الإيمان بالمسيح، وما كان بعد مجيئه (٢: ٤-١٠، ١٣-٢٢). هذه الصورة عن الوضع القائم بين اليهود والأمم قبل مجيء المسيح، سوف تتغيّر بعد الإيمان بالمسيح، وهذا كان كيقين لدى بولس، ولهذا لم يكن متردّدًا بدعوتهم إلى الإيمان بالمسيح، لأنّه وحده القدير أن يغيّر تلك الصورة القديمة، بترميم الإنسان، أي منحه فرصة الإيمان. هكذا يفعل الروح القدس، روح المسيح المحيي (١قو ١٥: ٤٥)، فيبني المؤمنين رعيّة واحدة لراعٍ واحد (يو ١٠: ١٦؛ حز ٣٧: ٢٤)، هو يسوع المسيح.

قيامة يسوع، والمريميات عند القبر الفارغ.
لوحة فنية لفرا أنجيليكو (١٣٨٧-١٤٥٥)، فلورنسا، قلاية دير القديس مرقس.

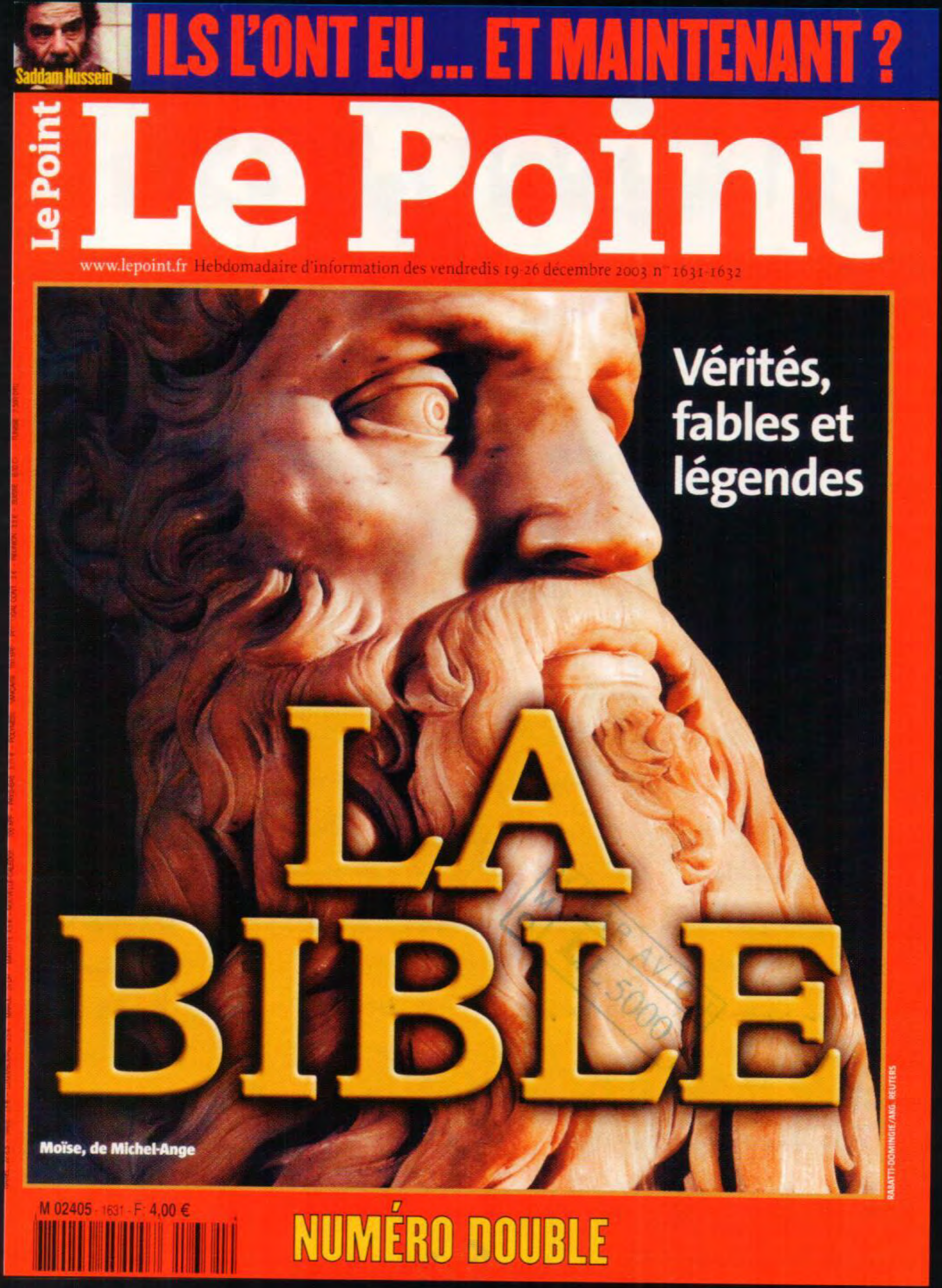

The encyclopedia of Protestantism

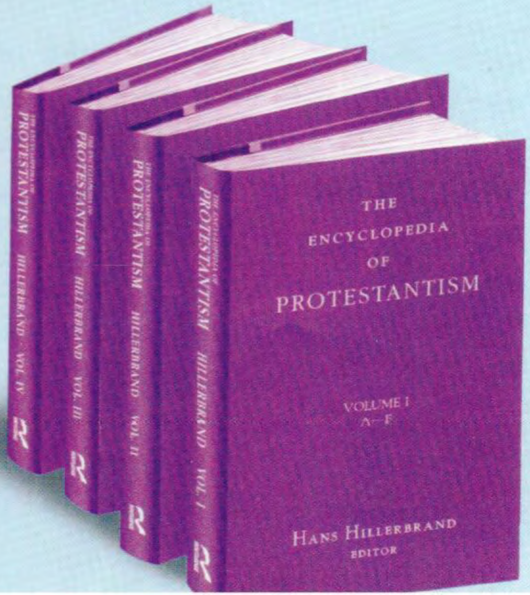

صلاة على الطريقة الرسولية

دعاء لأجل نموّ الجماعة

أف ٣: ١٤-٢١

الأب جورج خوّام البولسي
مدير معهد القدّيس بولس
للفلسفة واللاهوت - حريصا

مقدّمة

عندما يقف أحدنا في وسط الجماعة للصلاة مع سائر المؤمنين لا يفتأ يخاطب الله الباري بآيات التعظيم وابتهالات الاسترحام، فيضمّ هكذا صوته إلى دعاء الجماعة وهي تعبد خالق الكون. وإذا ابتغى امرؤ، من ناحية أخرى، صلاة فردية يتّقي بها شرّ العالم أمام الله رفع صوته كذلك بالدعاء إليه تعالى حتى يجيز عنه الويلات والضربات. وفي كلّ صلاة يتنهّد بها قلب مؤمن خشوعاً وتقى أمام الله تنبس شفتاه بكلمات يطلقها مناجاة، أو يتمتمها في سرّه دعاء تقيّاً. هذا ما نجده حولنا، وفينا، كلّما انتصبنا للصلاة؛ إننا نضرع إلى الله مخاطبين إياه في حوار مباشر.

ولكن بولس الرسول يلتفت إلى الله مصلّياً في حوار معه يدور كأنه بين اثنين، بل كأنّما صلاته تتّخذ لها الآخرين فحوى، والاهتمام بمصيرهم موضوعاً. إنّه يسأل الله لا لأجل نفسه، بل لأجل من يكترث لحالهم. إنّه يقوم بالدعاء عوضاً عمّن يجب عليهم القيام به. ولا غرو! أليس هو رسولاً؟ أليس ما يهمّه حقاً كسب الشعوب إلى العبادة؟ أتكون صلاته محض مناجاة؟ أم عساها لا تكون ابتهالاً لأجل الآخرين حتى يسيروا هم أيضاً، على غراره، على درب الصلة المميّزة بالله؟ وفي أف ٣:١٤-٢١، ينبري الرسول للصلاة مقتضباً دعاءه. إننا سوف نقف بحثنا الوضيع هذا على تحليل صلاته، مبيّنين أنّ ما يرد فيها إنّما هو منصبّ على الجماعة وحاجتها، دونما أن يرتاد الصلاة أيّ تطلّع آخر إلى غاية تحريضيّة، أو نظرة إلى نتيجة قد تجنيها الجماعة من جرى انصياعها إلى ما يسأله بولس في الصلاة.

١ - بناء الابتهال (أف ٣: ٢٠-٢١)

تشكّل الآيتان الأخيرتان من المقطع الذي يرفع فيه بولس الصلاة (٣: ١٤-٢١) خاتمة واضحة المعالم: فالأسلوب تفخيميّ بسبب البدء بذكر القادر الذي يليق به التمجيد، قبل أن يختصّ التمجيد به، والألفاظ تتحلّى بالمغالاة دلالة على جلالة القادر نفسه. لا حاجة بنا إلى المجيء بكلّ دليل لإقامة البرهان على صحة زعمنا، فنكتفي بهذين الشاهدين. وعليه، فإنّ الصلاة ذات بنية ما دام لها خاتمة. وإذ هي حقاً كذلك، فلا بدّ من استكشاف بنائها!

وفي الواقع أنّ الآية ٣:١٦، نحويّاً، جملة مصدريّة يربطها بما يسبقها رابط علّة، بحيث إنّ الآيتين ٣:١٤-١٥ يدلاّن القارئ على الدافع الذي حدا ببولس حتى يسأل "الآب" أن يهب من يقرأونه، أي جماعة أفسس، نعماً وعطايا يفتقرون إليها (٣:١٦). وعليه، يصحّ لدينا أن نعتبر تينك الآيتين مدخلاً للصلاة التي يرفعها بولس في تضاعيف الرسالة. أمّا سائر الآيات (٣:١٦-١٩) فهي بالتالي مضمون هذه الصلاة.

اعتماداً على ما سبق قوله بشكلٍ مقتضب، يجوز لنا أن نرسم بناء الابتهال وفق التصوّر الآتي:

أ. ٣:١٤-١٥ (مقدّمة).
ب. ٣:١٦-١٩ (فحوى الصلاة).
ج. ٣:٢٠-٢١ (خاتمة).

وإذ إنّنا آلينا على أنفسنا أن نتناول

الدعاء حصراً، أي فحوى الصلاة، بالتحليل دعونا ننظر إلى عباراته عن كثب.

٢- الجماعة موضوع الصلاة

ليس من العسير أن نخلص إلى اهتمام بولس الرسول بالجماعة يكتب إليها، فيجعلها في وسط تضرّعه إلى الله. إنّه يلجأ مرّات عديدة إلى ضمير المخاطبة متوجهاً بكلامه إلى أعضاء الجماعة على نحو مباشر، بل نرى أنّه يكفّ عن استعمال هذا الضمير في المقدّمة والخاتمة المشار إليهما أعلاه، وكأنّه يقف همّ الصلاة حصراً على الذين يخاطبهم. زد على ذلك أنّ الرسول يشاء، عبر تضرّعه، أن يماثل مؤمنو أفسس سائر إخوتهم من المؤمنين "القدّيسين" (١٨:٣)، غيرة منه على حالهم وحرصاً على ازدهار إيمانهم. فهم، والحال هذه، موضع اهتمام كبير عنده إذ يتشوّق إلى تقدّمهم الروحيّ أسوة بسائر القدّيسين. وما يشير حقاً، أخيراً، إلى اكتراث بولس بشأن الجماعة التي يكتب إليها أنّه يتمنّى لأفرادها أمنيات حسنة: فهو، في ١٨:٣، يودّ لو يستطيعون أن يفهموا ما من أسرار الله في طول الأرض وعرضها، وفي العلى في السماوات، كما في أخفض المواطئ حيث قد تنزلق المخلوقات على مختلف أنواعها. ويضيف، في هذا الخصوص، أنّ هذه المعرفة ممكنة لديهم، بل هي ممكنة لكلّ **من يتأصّل في المحبّة ويُبنى على أساسها.** وغنيّ عن البيان لمن يحتكم إلى مشورة عقله أنّ حيازة قدرة مماثلة تخوّل صاحبها امتيازاً في الوجود على أقرانه من بني البشر. وبولس الرسول، الرسول إلى أهل أفسس وإلى سواهم، يضمر في سرائره أمنية جليلة إذاً حينما يُعرب عمّا يختصّ بمن يراسلهم، إنّهم موضع ودّ كبير لديه!.

بل يجدر حقاً أن نقول إنّ بولس يكنّ الودّ للجماعة التي يخاطبها لعلمه كم يودّ الله المؤمنين الذين يأتون إليه خاشعين. لهذا، يمنح الباري مواهبه العليّة والسنيّة أولئك الذين يُخلصون له المودّة. وهذا عينه ما يجعله بولس موضوعاً لصلاته: إنّه يحني ركبتيه أمام الآب كي يسأله أن يعطي المؤمنين في أفسس عطاياه الجزيلة، إذ إنّهم حقاً ذوو ودّ وأهل له، بحسب بولس، ليقينه الثابت بأنّ إيمانهم الذي توطّدوا فيه يدنيهم من الحياة الإلهيّة، ويسعفهم حتى ينزعوا إلى العيش على مقتضى رسومها.

٣- ... لأنّها تنبثق من الآب

قد يغفل القارئ عن عمق النظرة اللاهوتيّة التي تنطوي عليها الآية ١٥:٣، المعترضة في سياق الإثبات الذي يحمل صلاة بولس لأجل الأفسسيّين. ففيها يقول الرسول: "الذي منه تنبثق كلّ أسرة في السماء وعلى الأرض"، فيما يتحدّث عن الله الآب. لا استعارة ولا تشبيه في التعبير، ولا مبالغة فيه؛ فإنّ كلّ شكل أسرة ينحدر قلباً وقالباً من لدن الله الآب، إذ بدونه تعالى لا كيان ولا حياة للجماعة البشريّة. وفي اعتقاد بولس أنّ انبثاق العائلة، كلّ عائلة، بل قل بتعبير أدقّ، كلّ جماعة تنادي بانتماء أفرادها إلى سلالة واحدة، يحمل معه قبساً من ألوهة الآب، ومن حياة الخلود الذي يقيم فيه، من غير انفصال أو نقص أو تبدّل قد يطرأ على ذاته. وما تحمله هذه الأسرة، أو تلك الجماعة، ممّا هو من الآب، وحدتها، لأنّ الافتراق والتشتّت غريبان عنه، إذ الآب واحد. وحقيق القول إنّ الجماعة، أو الأسرة، تفقد كيانها وتعدم هويّتها عندما لا تحافظ على وحدتها، فليست هي خليقة من بعدُ أن تدعى جماعة، أو أسرة، ولات الله بانيها في تشرذم أفرادها!

من ناحية ثانية، يحسن أن نتنبّه إلى مدلول "الانبثاق" في هذه الآية عينها. فاللفظ يعني حصراً "المناداة"، فكأنّك بالعائلة، أو بالجماعة، "يُنادى بها"، أو "تُدعى" من لدن الآب، حسب تعبير بولس في الآية المذكورة. إنّ هذه المناداة التي كلامنا فيها لا تشير إلى هتاف ينطلق من لدن الآب، كما قد يظنّ القارئ؛ ذلك بأنّ الرسول يلجأ بالواقع إلى أداة لا تفيد معنى الفاعل الذي ينادي، بل معنى المصدر الذي ينبع من وسطه النداء المشار إليه. ليس المراد بالمناداة أنّها تجري "من قبل" الآب، وإنّما "من لدنه"، أي من داخل ذاته الخاصّة. لهذا، فالمعنى المقصود إليه عبر هذه المناداة "إطلاق اسم" على العائلة، حتى تُعرف به،

فيكسبها هويّتها ككتلة اجتمعت عناصرها، وكخليقة تتميّز عن سائر الخلائق المتعدّدة العناصر. إنّ الأسرة، أو الجماعة، كلّ شكل أسرة وجماعة، ممّا قد يوجد في السماوات أم على الأرض، تسمّى أسرة، أو جماعة، بإنعام الآب نفسه. فهو يحبوها اسمها، أي كيانها، وشرعة وجودها، وهي تصدر من جرى ذلك عنه حتى إنّها تُرى، من ثمّ، وكأنّها تنبثق منه. وبالتالي، لا جماعة، ولا عائلة، منفصمة عن الآب مصدراً وجوديّاً؛ إنّها، هذه أو تلك أو كلتاهما معاً، تمتّ بصلة العروة الوثقى إلى الآب!

ومن المفيد أن نرى بولس، بعد هذا كيف يشدّ الجماعة، أو الأسرة، إلى ارتباط وثيق ترتبط به بالآب مصدرها عبر "روحه" أي بفضل ما يعمله فيها، و"سكنى المسيح" بالإيمان في قلوب الأفراد، أي على أثر ما أنجزه لأجل منفعتها والبشر أجمعين حينما جاء العالم مخلّصاً (أنظر ٣:١٦-١٧).

خاتمة:

لو رمنا خلاصة مقتضبة نقطفها ممّا سبق بحثه لوجدناها في نقطتين اثنتين: الأولى تتّجه بالخطاب إلى المرسل، الذي يبشّر الناس بكلمة الله، فتلفت انتباهه إلى موقع العامل في حقل الربّ. فالجماعة التي يعمل في وسطها، مصدراً ومآلاً، أي انتماء ومصيراً، جماعة تخصّ الربّ، لا المرسل إليها من قبل الربّ، وباسمه. والثانية تتطلّع إلى الجماعة، ميراث الربّ، وخاصّته، وتنذرها بابتناء بيتها على الطريقة الفضلى، حيث الآب والمسيح والروح ركيزة واحدة لارتفاع البناء الواحد.

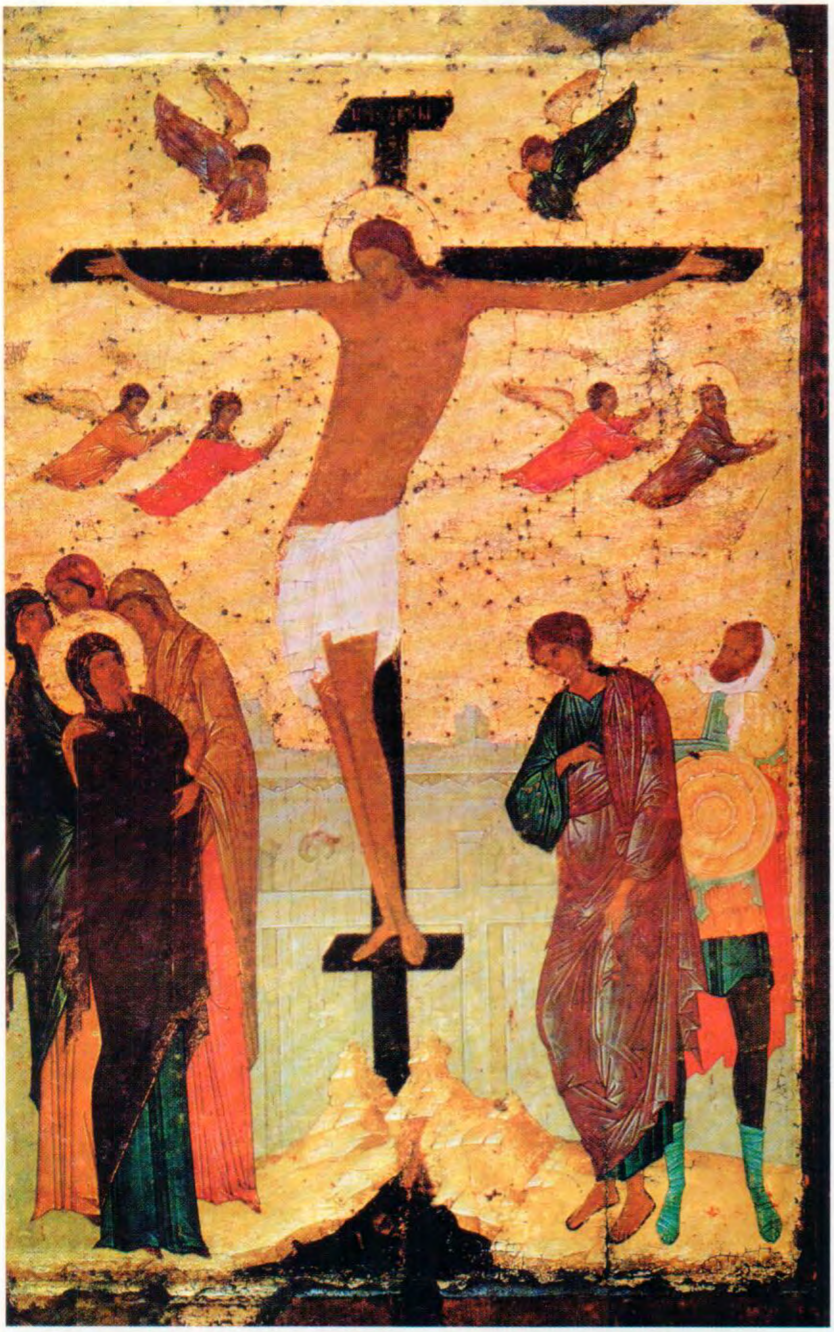

أيقونة للفنان الروسي ديونيسيوس، من بداية القرن السادس عشر، غاليري ترِتْياكُوف، موسكو

الفكر المسيحي بين الأمس واليوم
٣١
أوريجانس
في المبادئ
عرّبه وقدّم له وعلّق عليه ونقّحه
الأب جورج خوّام البولسي

الإتّشاح بالطبيعة الجديدة

أف ٤:٢٣-٢٤

الأب لويس الخوند

المقدمة

بعض الحاضرين في المجمع في أفسس تكلّموا «بالسّوء على طريق الربّ أمام الجمهور» (رسل ١٩:٩). «وفي ذلك الوقت، حدثت بلبلة كبيرة ضدّ طريق الربّ» (رسل ١٩:٢٣)، «لأن الأيام شريرة» (أف ٥:١٦): الأيام التي كتبت فيها هذه الرسالة. وان بولس، «بوحي»، اطّلع على السرّ (٣/٣): المقصود بـ «السرّ» هو قصد الله الأزليّ، وتصميمه الخلاصيّ للبشر. في يسوع المسيح «كلّ بناء يُنْسَق» (٢/٢١). «فلذلك»، وحرفياً «بفضل ذلك» (٣:١)، «تجدّدتم في أذهانكم تجدّدا روحياً» (٤:٢٣)، «ولبستم الانسان الجديد الذي خلق على مثال الله، في البرّ وقداسة الحق» (٤:٢٤).

تجد في القسم الثاني من الرسالة، القسم الارشادي والأخلاقي (٤-٦)، نداء إلى الوحدة رغم تنوع المواهب (٤:١- ١٦). يبدأ بفعل «أطلب» (٤:١)، وهو يعني الطلب والتحريض والتعزية والتشجيع معاً؛ وبكلمة «إذا» (٤:١) يعني النتائج العمليّة الأدبيّة التي يستخلصها المؤمنون، في الفصول السابق (١:٣-٣:٢١) من القسم التعليمي: وحدة بين المؤمنين (٤:١-٦)؛ والخطوط الكبرى الأخلاقية عامة تتوجّه إلى الحياة المسيحيّة (٤:١٧-٦:٢٠)، بتجديد روحي (٤:١٧-٥:٢٠). مهمته التحريض، ويتفصّل في سلسلة من الفرائض الخاصة: ضد الكذب، ضد الغضب، ضد السرقة، ضد كل شراسة في القول والعمل، ضدّ كل سفاهة وزنى.

نستخلص من رسالة بولس المعنى الخلقيّ؛ فنحن لا نقرأ الرسالة وكأنها خبر تاريخي نستمتع بقراءته. نريد، على خطى آباء الكنيسة، أن نكتشف عبراً من أجل المؤمنين تساعدهم على حياة أخلاقيّة تتوافق وإيمانهم»[1].

---

* المستندات:

اونغليون. **الرسائل والرؤيا**، الكسليك، ١٩٩٢.

بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس**، محطات كتابية، ٢، الرابطة الكتابية، ١٩٩٦.

Golossians Ephésians, Sacra Pagina, 17, p. 300-525.

١- بولس الفغالي، «آباء الكنيسة والكتاب المقدّس»، **البشرى**، ٢٣ حزيران ٢٠٠٣، ص ١٣/١-٢.

أولاً: «تجدّدتم في أذهانكم تجدداً روحياً» (آ ٢٣)

١ – «تجدّدتم»

اختار الله له شعباً قديماً (تث ٤:٣٤ و٣٧)، في ابراهيم (تك ١٢:٣). و«اختارنا» (أف ١:٤) له شعباً جديداً في المسيح يسوع. قدّس الله شعباً جديداً، وحّد فيه يهوداً ووثنيّين معاً، في شخص المسيح يسوع، في الحبيب. والتجدّد يشمل جميع المخلّصين، جماعة المؤمنين، جماعة يسوع، الجماعة الروحيّة، لأننا بالمسيح يسوع صار لنا «الوصول» الى الله الآب (٢:١٨؛ ٣:١٢). تلك بادرة أزليّة مجانيّة جديدة من الله لنا. و«الوصول» صفة من يصل إلى حضرة الله، بسهولة و«ثقة» (٣:١٢)، بدل «المضايق» (٣:١٣).

يحرّض الرسول المسيحيّين لكي يكونوا متجدّدين في المسيح (٤:١٧–٢٤): «كنتم بلا رجاء في هذا العالم». «أنتم تعلّمتم المسيح» (٤:٢٠): اشارة إلى التعليم المسيحي الذي يعطى للموعوظين، طالبيّ العماد، في بدء حياتهم الجديدة في المسيح. «تجدّدتم في أذهانكم» (٤:٢٣)، حرفيا: «بروح عقلكم». ان لم يدلّ التعبير مباشرة على عمل الروح القدس، فهو يدلّ على عمل الله الروحانيّ. يتجدّد عقل المؤمن، ليصبح انساناً جديداً، حتى في قواه العقليّة نفسها.

٢ – «في أذهانكم»

«يذهلك العهد الجديد بتأكيده ضرورة المعرفة»[٢]. لذا نلاحظ كيف أن فساد العقل كان بنتيجة فساد الحياة والأخلاق. سرّ الله، أي قصد الله الذي ظلّ خفياً، فكشف في شخص يسوع وأعلنته للكنيسة، هو حكمة علوية لا ندركها الا بمعرفة يمنحها الله لنا بنعمة مجانيّة من عنده.

يجثو بولس على ركبتيه «للآب»، لكي يعطي المؤمنين أن يتأيّدوا «بروحه في سبيل الانسان الداخلي» (٣:١٦). «الانسان الداخلي» هو القلب والعقل الواعي ارادة الله ونعمته، نقيض «الانسان الخارجي»، وهو الجسد الفاسد. التعبير مأخوذ من الفلسفة الرواقيّة الشعبيّة.

«يسكن المسيح بالإيمان في قلوبكم، ... لكي يسعكم أن تدركوا مع جميع القديسين ما العرض والطّول والعلو والعمق» (٣:١٧–١٨). «العرض والطول والعلو والعمق»: تعبير كتابي حكميّ، يصف حكمة الله وطُرُقه التي لا يسع العقل ادراكُها، وتعبير فلسفي رواقيّ يشمل الأكوان بأسرها، يطبّق على دور المسيح الشامل المطلق في تجديد الخلق أجمع.

«وان تعرفوا محبة المسيح التي تفوق المعرفة» (٣:١٩): المعرفة هي من مفردات الحب في الكتاب المقدس. تكون المعرفة بكلّ كيان الانسان، بعقله وقلبه وجسده. فليس المقصود هنا معرفة عقليّة، بل معرفة ممزوجة بـ «محبة المسيح»، معرفة عمليّة أدبية اختبارية (١:١٧؛ ٣:٣)، خصوصاً حين نعرف ونختبر ان الله نفسه يحبّنا، وان لم نقدر على فهم تلك المحبة الالهية لنا.

«فلا نعود أطفالاً تتقاذفنا الأمواج، ويعبث بنا كلّ ريح تعليم» (٤:١٤): يرى بولس في الطفل صورة الانسان الناقص، عقلياً وروحياً، ويدعو المؤمنين إلى تخطي حالة الطفولة. هذا لا ينقص رأي الرب في أن يعود التلاميذ ويصيروا كالأطفال، خالين من كلّ ادّعاء وكبرياء.

فـ«لا تسلكوا، في ما بعد كما يسلك الوثنيون في باطل رأيهم، قابعين في ظلام تفكيرهم» (٤:١٧–١٨). يختصر بولس هنا سلوك الوثنيين، فيحدّده بأنه سلوك في «الباطل» (آ ١٧).

فـ «مَن المسؤولين يقرأ كل يوم ساعات طويلة ليغرف من الكلمة ويتعامل واياها في ذهنه وقلبه، ويتحرّق لإعطائها، حتى لا يبقى الأولاد جياعاً... الفهم والقلب يسيران معاً في سعينا الى الله والى الاخوة»[٣].

«لتخضع النساء لرجالهنّ كما للرب» (٥/٢٢): قد يشقّ هنا «الخضوع» على ذهنية انسان اليوم، لأنه يعكس ذهنيّة قديمة تحطّ من حرية المراة ومساواتها للرجل، وكرامة الشخص الانساني. لكن الاستعمال المسيحيّ غيّر معنى الكلمة، من خضوع عَبْديّ الى خضوع إيمان ومحبة، «بمخافة المسيح» (٥:٢١)، و«للربّ» (٥:٢٢)، و«كما تخضع الكنيسة للمسيح» (٥:٢٤). فالكنيسة جسد المسيح، تخضع له. بهذا التعليل والتشبيه، يمتاز الأدب المسيحي الجديد عن الأدب الوثنيّ القديم.

مريم العذراء «آمنت» (لو ١:٤٥) و«التزمت وبقيت حياتها كلّها تتأمّل وتتقدّم في الفهم والعيش. هل ندرك أن الإيمان مسيرة نعرف أين تبدأ ولا نعرف أين تنتهي؟»[٤].

٣ - «تجدّداً روحياً»

من ثوابت التحريضات العماديّة تقديم مقابلة بين رذائل العالم الوثني والحياة الجديدة.

ان البركة التي باركنا بها إله ربنا يسوع المسيح وأبوه (١:٣) هي روحيّة سماويّة، تشرك المؤمنين في مجد المسيح الظافر، «في السماوات»، بين أجواق السماويّين، وفوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة (١:٢٠-٢٢).

فيسوع الإبن، بموته وقيامته، أعطى الروح القدس للمؤمنين (٣:١٦)؛ والروح جعل المؤمنين أبناء للآب، ينادونه «أبّا»، أيها الآب، كما ينادي الطفل أباه، وكما نادي يسوع الآب في بستان الزيتون. المسيح الممجد هو ينبوع المواهب الروحية على أنواعها في الكنيسة، ويوزّعها على الجميع (٤:١١-١٦). يشدّد بولس في ١:١٣-١٤، على «ختم الروح القدس» (آ ١٣)، حرفياً: «خُتمتم بروح الوعد القدوس»، على دور الروح القدس، فهو «الوعد». «عربون مراثنا» (آ ١٤)، المكمّل للخلاص. «فيسكن المسيح في قلوبكم» (٣:١٧)، «حتّى ملء الله كلّه» (٣:١٩). يطلب بولس تأييد المؤمنين بالروح القدس (٣:١٦) ، في حياتهم الروحيّة الجديدة.

فالوجود المسيحي ثمرة شركة «محبة المسيح» (٣:١٩) في الروح القدس الواحد. ومبدأ «الوحدة» (٤:١-١٦) الروحية هو حضور الثالوث الأقدس الفعّال، يوحّد الكنيسة بالايمان (٢:١ - ١٠) والمعموديّة جسداً روحياً واحداً (٤:٤-٦). ومبدأ الوحدة عملياً هو التكامل في الخدمة المتبادلة لبناء جسد المسيح ووحدته ونموّه وكماله (٤:١٣-١٦). «روح واحد»، و«رب واحد»، و«إله واحد» (٤:٤-٦)، حتى نصير جميعنا «الى وحدة الايمان» (٤:١٣)، والشهادة له. والإيمان يتجسّد في «المحبة». والتعبير «بمحبة» ورد في المقطع ٤:١-١٦ ثلاث مرّات (آ ٢ و١٥ و١٦) تشديداً على أن المحبة الأخوية هي الميزة الأولى للحياة الجديدة في المسيح (٤:١٧ -٢٤) وقواعدها (٤:٢٥-٣٢) ومتطلباتها (٥:١-٥).

فـ «لا تحزنوا روح الله القدوس» (٤:٣٠). «الروح القدس هو رباط الوحدة في جسد المسيح السري (٤:٣-٤). لذلك يحزنه كلّ ما من شأنه أن يسيء إلى تلك الوحدة، «بل امتلئوا من الروح» (٥:١٨): الامتلاء من الروح، في تفكير الرسول، يذكّر بالنشوة الروحيّة التي سكبها روح العنصرة في قلب التلاميذ (رسل ٢:١٣). ويذكّر بالعشاء الافخارستيّ في الجماعة السيحيّة الأولى، حيث الخمر الافخارستيّ ملأ الجماعة المتناولة من الروح القدس، فتعبّر عنه بـ «ترانيم روحيّة» (٥:١٩). الجهاد الروحي (٦:١٠-٢٠) يقوم بالسهر والصلاة (آ ١٨) الدائمة، والجرأة في الرسالة الانجيليّة (٦:١٨-٢٠).

«ان الممتلئين من الروح القدس والعارفين بالله يردّونها (الكنيسة) إلى أصلها. أسئلة كثيرة تقرع أبواب الكنيسة، ينبغي أن نجدّد قوانا الروحيّة لنجيب عنها»[٥]. ومن الأسئلة:

أ - «ما هي أهمية القداس لأبناء

٤- بولس تنوري، في **حياتنا الليتورجية**. **زمن الميلاد**، ٢٠٠٣، ص ٢/٧٨.

٥- جورج خضر، **المرجع نفسه**.

الرعيّة على مستوى المفهوم الروحيّ، وأيضاً على مستوى الالتزام بيوم الرب؟»[٦].

ب - «كيف تنظرون إلى التنشئة الكهنوتيّة اليوم ومقاييسها الانسانية والروحية والفكرية والرعائيّة؟»[٧].

ج - «تعتبر الكنيسة المارونيّة أن رسالتها التربويّة كانت ولا تزال جزءاً لا يتجزأ من رسالتها الروحيّة والوطنيّة»[٨].

ثانياً: «لبستم الانسان الجديد الذي خُلق على مثال الله في البرّ وقداسة الحق» (آ ٢٤)

١ - «لبستم»

نلبس الانسان الجديد (٤:٧-٢٤).

صورة «خلع اللباس ولبسه» مألوفة في العهد الجديد، في إطار المعموديّة.

«إلبسوا سلاح الله، ليمكنكم أن تثبتوا تجاه مكايد ابليس... كذلك تدجّجوا بسلاح الله، ليمكنكم أن تقاوموا في اليوم الشرّير، وتثبتوا؛ إذاً فاثبتوا، متنطّقين بالحق، لابسين درع البرّ» (٦:١١-١٤).

العهد القديم عامة، والأدب النبوي خاصة، يصوّر الله مدجّجاً بالسلاح، قاهراً أعداء شعبه، أما بولس فيصوّر مؤمن مدجّجاً بـ «سلاح الله». التشديد على لبس هذا السلاح (آ ١١)، والتدجّج به (آ ١٣)، وأخذ الترس (آ ١٦)، ووضع الخوذة، وتقلّد السيف (آ١٧)، والصلاة (آ ١٨)، يدلّ على أن المؤمن يحصل على «سلاح الله» بعطيّة من الله، يقبلها المؤمن ويستعملها، فتمكنه من الثبات والظفر حتى النصر الأخير والخلاص الأبدي في الحياة الأبدية، التي لا تفسد ولا تزول (٦:٢٤)، وهذا تعبير عن الرجاء المسيحي الكبير.

٢ - «الانسان الجديد»

«كنّا بالطبيعة أولاد الغضب كالباقين» (٢:٣): رأى شُرّاح، مثل إيرونيموس وأغوسطينوس وتوما ولوثر وكلفن، في التعبير، «أولاد غضب بالطبيعة»، إشارة إلى الخطيئة الأصلية. لكن «الطبيعة» هنا نقيض «النعمة» (٢:٥).

أبطل المسيح يسوع «شريعة الوصايا بما فيها من فرائض، ليخلق الاثنين فيه انساناً واحداً جديداً» (٢:١٥): شريعة موسى، في نظر بولس، بما فيها من وصايا وفرائض، هي «الجدار الأوسط الفاصل» (٢:١٤) شعب الله القديم اليهودي عن الشعوب الوثنيّة الباقية كافة، وهي مصدر «العداوة» (آ ١٤) المتبادلة المتأصلة، أبطلها المسيح بموته على الصليب. جمع المسيح في شخصه العالَمين اليهودي والوثني، ودفق فيهم حياة جديدة.

في ٢:١٩-٢٢، الموضوع هو بناء بشرية جديدة في الكنيسة، تجمع الوثنيين واليهود، في هيكل واحد (٢:٢١)، مكرّس لعبادة الرب الكاملة. يستعمل بولس تعبيرين مماثلين: «الانسان العتيق» (٤:٢٢) و«الانسان الجديد» (٢:١٥؛ ٤:٢٤).

في كلامه على الحياة الجديدة في المسيح (٤:١٧-٢٤)، يبدأ بولس بالتحريض على الحياة الجديدة في المسيح، فيضع لها القواعد (٤:٢٥-٥:٥)، ويصفها بأنها سلوك أولاد النور (٥:٦-٢١). الحياة المسيحيّة الجديدة هي نقيض الحياة الوثنيّة القديمة، في خط أنبياء العهد القديم، وحكمائه، والربينيّين، وجماعة قمران.

يحدّد بولس سلوك الوثنيين بأنه انغماس في ظلام وتغرّب وجهل وتصلّب (٤:١٨)، واستسلام الى العهر والجشع والنجاسة (٤:١٩)؛ كل ذلك تشويه لصورة الله في الانسان، يشوّش جميع علاقات الانسان بالله وبالناس، وبالأشياء، في آن واحد.

في ٤:٢٢-٢٤، ملخّص عن الحياة المسيحية، في خط «تعليم الطريقين»: انسان عتيق، ماضي خطيئة وغرور؛ وانسان جديد، حاضرُ نعمة وحقّ. **على**

٦- المجمع البطريركي الماروني، **دليل للتفكير**، ٢٠٠٣، ص ٧٩، س ١٣.

٧- **المرجع نفسه**، ص ٤٥، س ٦.

٨- **المرجع نفسه**، ص ٩٧، س ١٣.

المسيحي أن يتّشح بـ «الانسان الجديد» (٢:١٥)، فيصبح خليقة جديدة.

٣ - «الذي خلق على مثال الله»

ان المسيح رئيس الكنيسة هو أساس الخليقة كلّها، وهو الذي يصالحها مع الله في التاريخ. و«التبنّي» (١:٥) الذي استحقّه لنا المسيح، هو الخلاص الذي قصده الآب، منذ الأزل، وحقّقه في ملء الزمن، فجعل البشر له أبناء، بواسطة ابنه، مشابهين لصورة ابنه. فـ «بنوّتنا لله ليست تبجحاً؛ انها مسؤولية ملقاة على عاتقنا. فعلى أبناء الله ألاّ يعطوا شهادة عكسيّة على علاقتهم بأبيهم. لكن الخطورة هي أنه، في معظم الأحيان، لا تعني لنا شيئاً هذه الحقيقة الايمانية أننا أبناء الله»[٩].

ليس «سرّ مشيئة» الله (١:٩) قصداً إلهياً خفياً محفوظاً للكاملين، دون سواهم، بل هو قصد أزليّ أعلن وبلغ ملأه في «ملء الأزمنة» (١:١٠) ، في شخص يسوع المسيح، الذي مات وقام حياً، فصار رأساً موحّداً للخلق أجمع (٣:٣).

يشدّد بولس على تسلّم يسوع المسيح السلطة المطلقة على الخلق أجمع، جميع الكائنات (١:٢٠- ٢٣)، إلى مدى الكون بأسره (١:٢٣). ويدعو بولس الكنيسة «ملء المسيح» (٣:١٩؛ ٤:١٣)، لأنها جسده السريّ، تضمّ كلّ الخلق الجديد الخاضع للمسيح، «مالئ الكل» (١:٢٣). «وهكذا صار اللاهوت (تيولوجيا) عند بولس كلاماً عن يسوع المسيح (كريستولوجيا).

«إنا لصنعه، قد خلقنا في المسيح يسوع لأعمال صالحة سبق الله فأعدّها لنا من قبل حتى نسلك فيها» (٢:١٠): فليس الخلاص من صُنع الانسان، بل هو عطية مجانية من الله، تُقبَل بالايمان. كذلك السلوك في طريق الخلاص، بالأعمال الصالحة، عطية مجانية من الله، ودعوة ملازمة للمؤمن بالله.

وبما أن الانسان واحد، فالفداء سيكون خلقاً جديداً، مركزه الانسان الجديد الذي خلق في المسيح (٢:١٥).

«بُنيتُم على أساس الرسل والأنبياء ، والمسيح يسوع نفسه هو حجر الزاوية» (٢:٢٠). وهذا هو موضوع هذه الرسالة (١:٢٢)، في شأن دور المسيح السامي الموحِّد، رأس الخليقة كلّها.

هذا، ومن الله الآب «تسمّى كل أبوّة في السماوات وعلى الأرض» (٣:١٥): الله خالق الجميع، وأبو الجميع، هو أصل كل تجمّع بشري، «على الأرض وفي السماوات». فالوجود المسيحي نموّ مطّرد في اختبار المحبّة الأخوية والوحدة في قلب الجماعة الكنسيّة (٤:١-١٦)، لكي تتّسع المحبة فتشمل الخلق أجمع. و«السلام» (٤:٣)، سلام المؤمنين، ينبع من سلام الخلق كلّه مجموعاً في المسيح (١:١٠)، رأس الكنيسة المنتصر (١:٢٢؛ ٤:١٥). وبما أن الآب هو ذاك الذي منه يصدر كل شيء، والمسيح ذاك الذي به وُجد كل شيء، فعمل الآب الخلاّق حاضر في عمل المسيح يسوع، الذي صار في نظر بولس وفي نظر الجماعة المسيحيّة الأولى، ربّ المجد بقيامته (١:٢٠).

٤ - «في البرّ»

عرف العهد القديم الله كأب للأبرار (حك ٢:١٦؛ ١٤:٣) الذين يسمّون أبناء الله».

يشدّد التقليد البيبليّ على «لباس البرّ» (أي ٢٩:١٤؛ مز ١٣٢:٩؛ اش ٥٩:١٧). والتعبير يعني التغيير الجذري، الذي يحقّقه المؤمن المعمّد في حياته الجديدة. وتتحدّث البيبليا مراراً عن ثنائيّة على مستوى اللاهوت الخلقي في صراع بين الشرّ والخير.

«البرّ» هو محور الفكر لدى بولس، كما سيكون «الشوق إلى الحياة»، محور أفكار اغناطيوس الانطاكي. فالمسيح، كوسيط العهد الجديد، هو «برّ الله».

٩- أنطوان عوكر، **في حياتنا الليتورجية، زمن الميلاد ٢٠٠٣**، ص ٦٤.

«باركنا الله في المسيح بكل بركة روحيّة في السماوات» (٣:١).

فـ «بعد أن بِرّرنا بالمعموديّة، نطلب الثبات على ما بدأنا أن نكونه»[١٠].

٥ – «وقداسة الحق»

الله «اختارنا» (٤:١) «بمحبّة»، وتبنّانا في ابنه «يسوع المسيح» (٥:١)، «لنكون في حضرته قديسين» (٤:١)، بعيشنا الأدبي بقداسة و«بغير عيب فينا»، في محبتنا لله، جواب على محبته لنا، وفي المحبة الأخوية. دعانا إلى القداسة، فإلى المجد الأبديّ.

و«القديسون» (١٥:١)، هم المعمّدون، شعب الله الجديد (١:١). وتعمّمت في الرسالة إلى أفسس، تسمية المسيحيّين بـ «قديسين»، بدل «الاخوة». «تذكّروا أنكم كنتم بلا مسيح، ولا إله» (٢٢:٢). كان للمؤمنين آلهة كثيرون، ولم يعرفوا الاله الواحد الحق الحي. «فما أنتم بعد غرباء ولا نزلاء، بل أنتم أهل مدينة القديسين» (١٩:٢). ففي يسوع «كل بناء ينسق، فينمو في الربّ هيكلاً مقدّسا» (٢١:٢)، لأن «السرّ الذي لم يعرف عند بني البشر» في الأجيال الغابرة، أعلنه الآب بالروح لرسله القديسين والأنبياء» (٥:٣): يحدّد بولس أن القديسين هم الرسل والأنبياء.

لذا «ننمو في كلّ شيء، صادقين بمحبّة» (١٥:٤): «صادقين» اسم فاعل، من فعل يونانيّ مشتقّ من كلمة «حق»، يعني الصدق وقول الحق والشهادة له، لأننا تلقينا بالمسيح «تعليماً»، كما هي الحقيقة في يسوع» (٢١:٤). و«الحقيقة في يسوع» هي حقيقة موته وقيامته (٢٤:٤). فالكلمة «الحق» في هذه الرسالة تأخذ معنى كاملاً، كما في الانجيل الرابع، وفي خطّ التيار الحكمي والرؤيوي. انها تعني ملء الوحي، الذي تمّ في شخص يسوع المسيح، وتقبّله المؤمنون بحرية تامة، وقلب صادق (١٣:١؛ ٢١:٤ و٢٤؛ ٩:٥؛ ١٤:٦).

«وقداسة الحق» تنقي الشرّ والخطيئة والكذب. فـ«اغضبوا ولا تخطأوا» (٢٦:٤)؛ وهناك تحريض على تجنّب الغضب: «لا تعطوا إبليس مكاناً» (٤٧:٤). يرى شرّاح ان الرسول يأمر بنوع من الغضب ليس هو بخطيئة، بل هو غيرة مقدسة ودفاع عن الخير ضدّ الشرّ؛ فالطمع وعبادة الوثن (٥:٥)، أي المال وملذات الدنيا. والرضى عن الرذيلة واخفاؤها شرّ وخطيئة (١٢:٥–١٣)، والسكر بالخمر، «لأن فيه طيشاً» (١٨:٥). واعتبرت الكنيسة ان استقامة الرأي تتضمن استقامة السلوك. فـ «أنتم أهل مدينة القديسين وأهل بيت الله» (١٩:٢). وفي المسيح يرتفع البناء «هيكلاً مقدساً في الرب» (٢١:٢). والحياة الفائقة تقدّس المؤمنين (٩:٥)، وتجمعهم في جسد واحد (٤:٤).

«المسيح أحب كنيسته، فأسلم نفسه عنها، لكي يقدّسها، وقد طهّرها بغسل الماء والكلمة» (٢٥:٥–٢٦): قدّس المسيح العروسُ الكنيسةَ، وطهّرها ونقّاها. «فإن الكنيسة تحوي في حضنها الخطأة، إذا هي قدوسة، وعليها أن تتطهّر دوماً، جادةً باستمرار إلى التوبة والتجدّد»[١١].

«ومن المعلوم أن للشهادة الحيّة بالعمل والحق التأثير الأعمق من النصح والكلام. والمطلوب اليوم لبس فقط التغنّي بقداسة مَن سبقنا، بل التتلمذ معهم ومن خلالهم لمن قدّسهم، فنتقدّس بدورنا، ونقدّس عائلاتنا والعالم، وإلا فما النفع بالتكلّم على مسيحيتنا؟»[١٢].

الخاتمة

بولس الرسول ولد كنيسته في المسيح، وأراد أن يغذّيها لا بالحليب فقط، بل بالطعام القويّ، فعرض التعليم العقائدي مع التطبيق الخلقي في حياة المسيحيين، وفي حياة الانسان الجديد،

١٠– القديس كبريانس، في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ٢٨١٣.

١١– المجمع الفاتيكاني الثاني، دستور عقائدي في الكنيسة «نور الأمم»، ٨.

١٢– دليل للتفكير، ص ٥٩.

في استنتاجات عمليّة (٤:٢٥ - ٥:٢).

لهذه الحياة الجديدة في المسيح قواعد (٤:٢٥-٣٢)، ومتطلبات (٥:١-٥). فيتحدّث بولس عن سلوك أولاد النور (٥:٣-٢١)، بالتزام إيماني وخلقي (٥:٨)، في علاقات بيتيّة واجتماعيّة جديدة (٥:٢٢-٣٣)، بين الأولاد والوالدين (٦:١-٤)، والعبيد والأرباب (٦:٥- ٩)، في الجهاد الروحي وسلاح الله (٦:١٠-٢٠). فـ «الخلاص الذي هو خير الله الأخير، يؤمّنه المسيح منذ الآن وإلى الأبد»[١٣].

تعليم بولس غذاء ما زال حاضراً أمامنا اليوم.

«ان مجتمعنا يتعرّض لتحديات أخلاقيّة كبرى. ما هي برأيك؟ وكيف ترى دورك كشاب مؤمن في مواجهة هذه التحديات؟ ما هو دور الكنيسة؟»[١٤].

«كيف يمكن أن تتعاون الكنيسة ومؤسساتها مع الوسائل الاعلاميّة المدنيّة (صحف، اذاعات، تلفزيونات، الخ.)، من أجل خدمة البشارة ومعالجة قضايا ذات أبعاد أخلاقيّة وانسانيّة، كمثل قضايا المراة والطفولة والعائلة، والتربية والعدالة والحرية وحقوق الانسان والبيئة وغيرها»[١٥].

يوحنا يعمّد يسوع، والملاكان يحملان وشاحه الجديد
لوحة للفنّان دومينيكو دي برتولو – Dominico di Bartolo (النصف الأوّل من القرن الخامس عشر) الغاليري الوطنيّة في أومبريا – Pérouse

١٣- بولس الفغالي، **المرجع نفسه**، ص ١/٥٢١.
١٤- **المرجع نفسه**، ص ٦٧، س ١١.
١٥- **المرجع نفسه**، ص ١٣١، س ١.

منشورات مركز الدراسات
الكتابية - الموصل (العراق)
ملفات
الكتاب المقدس
كنيسة البدايات
ملفات
الكتاب المقدس
السنة الرابعة. العدد الثالث عشر
تموز ٢٠٠٣
سفر يونان
ملفات
الكتاب المقدس
القديس مرقس
قراءة
في
العهد القديم
الجزء الثاني: من الجلاء الى يسوع
منشورات مركز الدراسات الكتابية
الموصل ٢٠٠٢

أحبّا بعضكما حبّ المسيح والكنيسة

أف ٥:٢٢-٣٣

الخوري شوقي كرم

لا يمكن فهم نصّ رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس الذي يتناول فيه موضوع الخُلقِيَّة التي يجب أن يتمتَّع بها كل من الزوجينِ المسيحيين في حياة الشركة التي يعيشونها، إلا بالعودة إلى الدعوة الأساسية، دعوة الاقتداء بالله التي يتوجّه بها الرسول في بداية هذا الفصل إلى كلّ مُعمَّد، كابن مختار من الله، منقًّى ومحبوب : "كونوا إذًا مُقتدين بالله كأولاد أحبّاء، واسلكوا في المحبّة كما المسيح أحبّنا" (أف ٥:١-٢). هذا هو المبدأ الأساسي في السلوك المسيحي.

في الواقع، درج التقليد البيبليّ على استعمال طريق "المماثلة" ليشرحَ عهد الله مع شعبه بالعودة إلى الحبّ والالتزام الزوجي، وليُضيءَ الطريق الحقيقية للشركة الزوجية بالعودة إلى محبّة الله وأمانته ومغفرته الله تُجاه شعبه (حز ١٦؛ هو ١-٣؛ متّى ٢٢ : ١-١٤؛ يو ٣:٢٩؛ الخ.). قطبا المجاز يتّضحُ أحدهما بفضل الآخر.

هذا ما نكتشف في العهد القديم الذي يرى في علاقة الرجل بالمرأة رمزًا مقدّسًا لعرس الله مع شعبه. فالأنبياء استعانوا بصور الحب الزوجي ليرمزوا إلى حب الله لشعبه في أبعاده الثلاثة: الاختيار والحياة والأمانة، وإلى ما ينتظر الله من حبٍّ أمين على مبادرته (هو ١-٣؛ حز ٥:١-٧؛ إر ٢:٢ و٢٠-٢٥ و٣٢-٣٥؛ ٣:١-١٣ و١٩-٢٠؛ ٣١:٣-٤:٢٢) . في فعل خلق الإنسان رجلاً وامرأة ليصيرا جسدًا واحدًا (تك ٢ :٢٤) وجد الأنبياء أساس وإلزام الامانة في الزواج وتحريم الطلاق. وفي الخطيئة التي تُجرح عهد الزواج، رأى الأنبياء صورةً لعدم أمانة الشعب لله : عبادةُ الوثن دعارةٌ (حز ١٦:٢٥)، والخيانة زنًى(هو ٣)، والخروج على الشريعة تخلٍّ عن محبة الرب الزوجية. وعاد الأنبياء إلى صورة الحب الزوجي الأمين المتحرّك النامي ليصوروا دينامية العهد، وبالمقابل قدّموا أمانة الله لعهده نحو إسرائيل كمثال للزوجين لأمانة حقيقية وصحيحة لالتزامهما الزوجي. هكذا الحبّ والأمانة للعهد من ناحية، والحب والأمانة الزوجية من ناحية أخرى، يُنير أحدهما الآخر على مستوى التقدير والحكم[1] .

ومهما كانت معطيات العهد القديم في ما يخصّ الاقتداء بمحبّة الله للإنسان وشعبه، فهي تقود إلى نفس الهدف: المسيح. فالله يكشف ذاته بكلّيته في المسيح، والحب الذي يتحقَّق فيه الاقتداء هو كمال الحب[2]، لأنه ليس سوى حب المسيح نفسه المائت على الصليب حرًّا

١- راجع يوحنا بولس الثاني، **في وظائف العيلة في عالم اليوم**، عدد ١٣.
P. ADNES, "Mariage et vie chrétienne", *Dictionnaire de Spiritualité,* t. X ,Beauchesne, Paris 1977, col.384-385.

2- Cf. Michel Bouttier, *L'épître de Saint Paul aux Ephésiens,* Labor et Fides, Genève 1991, p. 219.

مُريدًا[٣].

هذا ما نجده في العهد الجديد، خاصة لدى الرسول بولس في هذا النص من رسالته إلى أهل أفسس (أف ٥ :٢٢-٣٣). فالرسول الذي يرى كمال تحقيق العهد الإلهي في اتحاد المسيح والكنيسة، يؤسس فكره هو أيضًا على ما يعرفه من "طريق التماثل" هذا في التقليد البيبليّ في العهد القديم، ليبيّنَ أن حقيقة الحب الزوجي والزواج، الموجودة في فكر الله، المنقولة بطريقة مجازية ونَبَويَّة لحقيقة ستنجلي، قد تحقَّقت في سرّ زواج الله/المسيح مع البشرية/الكنيسة، وبها حلّ ملء تاريخ الخلاص. بالنسبة إلى بولس، هذا الاتحاد الفائق بالحب لا يشكل فقط السبب الأخير لوجود العلاقة بين الرجل والمرأة، بل "النموذج الأصلي" الواقعي والحيّ، "المثال الأعلى" الذي خلق الله بحسبه منذ البدء الرجلَ والمرأة، والذي يجد فيه كل عهد زواج حقيقته (راجع أف ٥:٣٣)[٤]. هذا ما حدا ببولس في هذا النص من أفسس على أن يعتمد على طريقة "التماثل". فتارةً ينطلق من العلاقة الزوجية ليشرح العلاقة بين المسيح والكنيسة، وتارةً ينطلق من سرّ هذه الشركة ليتكلّم عن حبّ المرأة والرجل. فسرّ "حبّ المسيح والكنيسة" وحده، بحسب فكر بولس، قادرٌ أن يُضيء سرّ حبّ الرجل والمرأة، ويُعطيَه أن يصبح رمزًا واقعيًا للعهد الجديد الأبدي، وأن يمنح الزوجينِ بالنعمة المفاضة عليهما أن يشتركا في ذلك السرّ ويجسداه ويشّعا به في حياتهما اليومية[٥]. بالمقابل، يبقى سرٌّ حقيقةِ البدء، حقيقةِ الزواج الأصلية بكل ما تحمله من حبّ واحترام وعناية واهتمام وتجرّد، قادرًا على أن يكون رمزًا واقعًا لفهم سرّ الخلاص[٦].

بالنسبة إلى بولس فـ"إن هذا السرّ لَعظيمٌ: أما أنا فأقول ذلك بالنظر إلى المسيح والكنيسة" (أف ٥: ٣٢). بهذا القول "يُشير بولس مرارًا إلى بدء الخليقة (١قور ١١:٢-١٦؛ ١٥ : ٤٤-٤٩)، ويفسّر هنا اتحاد الزوجين الأوّلين (تك ٢ : ٤٢) تفسيرًا نبويًّا، فهو يرمز إلى اتحاد المسيح والكنيسة، وهذا يُعطي سرّ الزواج عظمته. فالزواج، في المفهوم الكتابيّ، ليس مجرّد علاقة طبيعية بشريّة عابرة، بل هو عهد وشركة وأمانة ثابتة، وفق إرادة الخالق (مر ١٠: ٦-٨). والجديد في المفهوم المسيحي هنا، كما ذكرنا سابقًا، اعتبار الزواج سرًّا يستمدّ كلّ معناه وملزماته من سرّ وحدة المسيح وكنيسته[٧]. بهذا يقدّم بولس روحانيّةً مسيحيّةً مميّزةً وفريدةً للحياة الزوجية، روحانية مؤسَّسة على اتحاد المسيح العروس وكنيسته تؤهل الزوجينِ المسيحيين أن يعيشا زواجهما في المسيح ويحققا دعوتهما إلى القداسة التي هي "حياة في المسيح"[٨].

انطلاقًا من هذا التفكير البولسي، استنتج اللاهوتيون أن في سرّ الزواج

٣- راجع، **الكتاب المقدّس، العهد الجديد**، كليّة اللاهوت الحبرية، جامعة الروح القدس - الكسليك، لبنان ١٩٩٢، الحاشية، ص ٨٧١.

4- Cf. R. BERAUDY, *Sacrement de mariage et culture contemporaine,* Desclée, Paris 1985, p. 119; P. ADNES, "Mariage et vie...", col. 364-365.

٥- راجع يوحنا بولس الثاني، **في وظائف العيلة في عالم اليوم**، عدد ١٣؛ الخوري بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس**، الرابطة الكتابية، محطات كتابية، المكتبة البولسية، لبنان ١٩٩٦، ص ٢٢٥.

6- Cf. M. DOMERGUE, *Croire aujourd'hui au mariage?*, éd.du Sénevé, Paris 1971, p. 38.

٧- راجع، **الكتاب المقدّس، العهد الجديد**، الكسليك، الحاشية، ص ٨٧٤-٨٧٥.

٨- راجع الخوري بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس ...**، ص ٢٢٧.

يشترك الرجل والمرأة بنعمة الخلاص في عهد المسيح والكنيسة، ويصبح زواجهما تعبيراً حيًّا، علامةً فاعلةً، وبطريقة ما، إشعاعًا وتجسيدًا فعليًا لهذا الاتحاد السامي. هذا ما يعطي علاقة الرجل والمرأة كرامتها ومعناها العميق[9]. بالمقابل يمكن بطريقة المماثلة تحديد إلزامات الزواج، وتوضيح خُلُقية الحياة الزوجية، انطلاقًا من هذا المثال الإلهي الذي يبقى أساس وسبب وغاية كلّ زواج. هذه الحقيقة العميقة بين الرجل والمرأة كما أرادها الله منذ البدء وحققها في اتحاد المسيح والكنيسة هي التي ألهمت بولس هنا في كل تحريضاته للأزواج المسيحيين[10].

من هنا، فالأمانة لعيش حقيقة حبهما بالعودة إلى خالقِ كلّ حبّ وإلى حبّ المسيح، يمنح الزوجين اكتسابَ وَعْيٍ أعمقَ لسرّ الحب الإلهي. وبقدر ما يكتسبانِ هذا الوعي يُضحي الزوجانِ مؤهَّلين لأن يُحسنَا التصرف بالنسبة إلى حقائق وإلزمات حبّهما لكيما يحققَا بالعمق ما هو عليه كعلامة حيّة لحب المسيح للكنيسة. ينجم عن ذلك أن الزوجين المسيحيين الأمينين لله هما اللذان يتحابّانِ بوَعْيٍ أنهما يجسدّان سرّ الله المحبّة، وأن همَّ التعبير عن هذا السرّ هو من أولويات دعوتهما؛ فهما متحابّانِ ومقتنعان أن حبهما يتعهّد حبًّا آخر، حبّ الله المتجسّد بحبّ يسوع للكنيسة.

فالسؤال الذي يَطرح نفسه انطلاقًا من هذا التفكير البولسيّ: هل يمكن للزوجين المسيحيين أن يحققا دعوتهما هذه بأن يكون حبّهما الزوجي تجسيدًا وتعبيراً حيًّا لسرّ الاتحاد السرّيّ بين المسيح والكنيسة، الاتحاد الذي يشاركان فيه بالنعمة؟ الجواب نعم، بقوّة نعَم سرّ الزواج التي بها يَشفي المسيح ويُقدّس بقوة الروح القدس حبّهما الزوجي من كل شهوة وتسلّط، ويثبّته بختم الوحدة والديمومة، ويؤهله ليرتفع إلى مستوى الحب الذي يربطه بالكنيسة.

لذلك، يكون الزوجانِ المسيحيانِ أمينينِ فعلاً، أحدهما للآخر، ومعًا لمشروع الله لهما بقدر ما يقبلان هذا التحدّي الإنجيليّ، وبقدر ما يقبلان أن يقتديا بحبهما ما يميّز الحب الذي يربط المسيح بكنيسته.

من هنا، وبحسب تفكير بولس في هذا النص من أفسس، يكون الزوجان المسيحيان أمينينِ لدعوتهما بالاقتداء بـ"النموذج الأصلي الإلهي" بقدر ما يُحبّ أحدهما الآخر لأجل ذاته، ولما هو عليه، ويجد سعادته في تحقيق سعادة الآخر. وهذا يبقى مستحيلاً دون التجرّد من كلّ محورية حول الذات والانفتاح على الآخر بحبّ فدائيٍّ موّحد خلاق؛ حبّ محبّة (أغابي) يقدس حبهما الطبيعي (Eros) يعيده إلى طهارته وبهائه الأول كعطاء كلّي للذات، وكتقدمة كاملة والتزام أبديّ لخلاص وفداء الآخر. فكما المسيح مخلّص الكنيسة، هكذا الرجل والمرأة بالتشبّه بالمسيح يُصبحان سببَ خلاصٍ بعضهما لبعض.

بُعدٌ آخر لهذه الأمانة للاقتداء بحبّ المسيح والكنيسة هو باعتناق الطريقة التي نظر فيها المسيح لكنيسته وأحبّها: على الرجل أن يُحبّ زوجته حبّه لجسده مثلما يحبّ المسيح الكنيسة جسده، فيطهرّها ويقدّسها ويزفّها إليه بلا عيب (أف ٥: ٢٦-٢٧). وعلى المرأة أن تجيب على هذا الحب بخضوعها لزوجها بالاتحاد به واعطائها ذاتها له، مثلما ترتبط الكنيسة بالمسيح وتهبه نفسها في طواعيّة وحرية. هذا الاستسلام الواثق من الحبيبة لحبيبها الذي يحبّها أكثر مما

9- Cf. M.-J. SCHEEBEN, *Le mystère de l'Eglise et de ses sacrements,* Cerf, Paris 1964, p. 145; H. WATTIAUX, *Engagement de Dieu et fidélité du Chrétien. Perspectives pour une théologie morale fondamentale,* Cerfaux-Lefort, Louvain-la-Neuve 1979, p. 164; A. FEUILLET, *Le Christ, Sagesse de Dieu d'apès les épîtres pauliniennes,* Paris 1966, p. 222.

١٠- الخوري بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس** ...، ص ٢٢٧.

تحب ذاتها ويبذل نفسه في سبيل خلاصها هو ما يدعوه بولس خضوعَ وطاعةَ المرأة لرجلها كما الكنيسة لرأسها المسيح (أف ٥: ٢٣-٢٤). وعليهما أن يخضعا بعضهما لبعض بمخافة المسيح (أف ٥: ٢١). ومخافة المسيح "ليست بخوف بل هي مهابة مملوءة بالمحبّة، تفيض من قلب عرف حبّ المسيح له وخلاصه الممهور بدمه على الصليب"[١١].

وعلى صعيد وحدة الزوجين، فعليهما أن يرغبا ويفتشا على أن تنمو هذه الوحدة وتذهب إلى العمق أكثر فأكثر لتصبح على مثال وحدة المسيح وكنيسته. هذا يعني، أنهما مدعوّان للعمل من أجل وَحدة لا تربط واحدهما بالآخر إلى الأبد فقط، بل تطلب منهما أن يحترما وينميّا فرادةَ وميزة واختلاف شخصيتهما كعضوين مُكوِّنين لهذا الجسد. وبقدر ما يتحلّى هذا الحب بعواطف الرقّة والعذوبة واللين والمسامحة والرأفة. وكلّ فضيلة من ثمار الروح، بقدر ما يقترب من مثاله الأسمى، حبّ المسيح لكنيسته الساهرِ على نموّ جسده بفيض نعمه وتحريك مختلف الخِدْمات، وعلى تناغم أعضائه ووحدتهم في المحبّة[١٢].

وضمن هذا التوجّه أيضًا في الاقتداء بحبّ المسيح والكنيسة، فالزوجان المسيحيان مدعوان لأن يثبتا في حبّهما وينموا معًا فيه حتى يتخطيا كل التحديات والحواجز التي تمنعهما من الوصول إلى كمال دعوتهما: القداسة. وفي التخلّي أيضًا عن الحلم بالقدرة الكليّة للرغائب، والتحلّي بالعطاء والأخذِ، والتبادلِ والتواصل، والخدمة المتبادلة تشبّهًا بالمسيح، يتمكّن الزوجان من أن يعكسا واقعيًا حقيقة علاقة المسيح الحاضر الغائب في كنيسته، حضورًا لا انصهار فيه ولا ذوبان، بل وحدةً تُمكن الكنيسة من أن توجد بفرادتها وتمايزها كشريكة للمسيح[١٣].

كما وتقضي الأمانة أن يبقى حبّ الزوجين منفتحًا على خِصْب الحياة،

معاً إلى الأبد، يجمعهما رباط الحب، كما المسيح بالكنيسة.
فسيفساء في بازيليك سان فيتالي (إيطاليا)

١١- الخوري بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس**...، ص ٢١٧.

12- Cf. Michel BOUTTIER, *L'épître de Saint Paul aux Ephésiens,* Labor Et Fides, Genève 1991, p. 242-253; R. BERAUDY, *Sacrement de mariage et culuture contemporaine,* Desclée, Paris 1985; M. JOULIN, *Vivre fidèle,* DDB, Paris 1972.

13- Cf. A. DESSEPRIT, *Le mariage, un sacrement,* Le Centurion, Paris 1981; A. MATTHEEUWS, *Union et procréation,* Cerf, Paris 1989.

مشاركة مسؤولة وحرّة في الخَلْق الإلهي، ليُمكّن الزوجين من أن يشهدا لخصب حبّ المسيح والكنيسة، مثالهما الأعلى. هذا الأمر يتحقق بشكل خاص، بقدر ما يلد الزوجان بالحب ويحيطان مولودهما بالحب ويربيانه على الحب. وبقدر ما يتجردّ الزوجان من أن يكونا كلّ شيء بالنسبة إلى ولدهما الذي هو ثمرة حبّهما، ومن أن يتملّكا كلّ شيء لديه، وأن يحلا مكانه ليعترفا بأنه آخرُ مُختلفٌ عنهما. وبقدر ما يعيش الزوجان هذا التجرّد، فإنهما يعطيان لحبّهما بأن يصبح رمزًا حقيقيًا لخصب عهد المسيح والكنيسة، الخصب الذي يلد أولادًا بالتبني لله ويحدّد هوية كلّ واحد منهم نسبة إلى دوره المّميز والمتكامل في قلب جسد المسيح السرّيّ.

وحتى على مستوى العلاقة الجسدية، فإن الزوجينِ مدعوان بحكم انتمائهما للمسيح وكنيسته، بألا يتصرّفا بأجسادهما إلا كما يريد الرب.

وكما يلد المسيح الكنيسة، والكنيسة الأم تلد المسيح في نفوس أبنائها، هكذا على كل واحد من الزوجين المسيحيين أن يلد الآخر في المسيح وأن يقبل المسيح من الآخر وفيه، وكذلك يكون الأمر بالنسبة إلى أولادهما.

عهد الرب مع شعبه والتزامه به وأمانته وغفرانه له ومحبته اللامتناهية تجاه الذي تحقق بملئه في اتحاد المسيح والكنيسة، يبقيانِ "الأيقونة الحيّة" لوحدة الزوجين وازدهارهما في الحبّ كطريق وحيد لقداستهما. ولأن التشبه بهذه الأيقونة والاقتداء بهذا الحب الإلهي يبقيان أغنى بكثير من أن يستنفد غناه أي حب بشري، فإن الزوجين مدعوان أن يستقيا منه ويعملا طوال العمر على الاقتداء به. وهنا يكمن سرّ نجاح وسعادة وقداسة كل حبّ زوجي: كلّما زاد الاثنان اقترابًا وعمقًا في التخلّق بأخلاق المسيح، كلّما قصرت المسافة بينهما وازداد قربهما وتثبتت وحدتهما. وكلما ابتعد الاثنان عن هذا المثال، كلما ازدادت المسافة بعدًا بينهما. والأمر نفسه ينطبق على حبّ الزوجين وارتباطهما بأولادهما.

المراجع

يوحنا بولس الثاني، **في وظائف العيلة في عالم اليوم**، عدد ١٣–١٤.

الخوري بولس الفغالي، **رسالة القديس بولس إلى أهل أفسس**، الرابطة الكتابية، محطات كتابية، المكتبة البولسية، لبنان ١٩٩٦.

الكتاب المقدّس، العهد الجديد، كليّة اللاهوت الحبرية، جامعة الروح القدس – الكسليك، لبنان ١٩٩٢، ص ٨٧٣–٨٧٥.

- M. BOUTTIER, *L'épître de Saint Paul aux Ephésiens,* Labor Et Fides, Genève 1991, p. 242-253.
- R. BERAUDY, *Sacrement de mariage et culuture contemporaine*, Desclée, Paris 1985.
- M. JOULIN, *Vivre fidèle,* DDB, Paris 1972.
- A. DESSEPRIT, *Le mariage, un sacrement,* Le Centurion, Paris 1981.
- A. MATTHEEUWS, *Union et procréation,* Cerf, Paris 1989.
- H. DENIS, *Le mariage, sacrement pour les croyants,* Cerf, Paris 1990.
- AA.VV., *Le mariage, un engagement pour la vie?* DDB, Paris 1971.

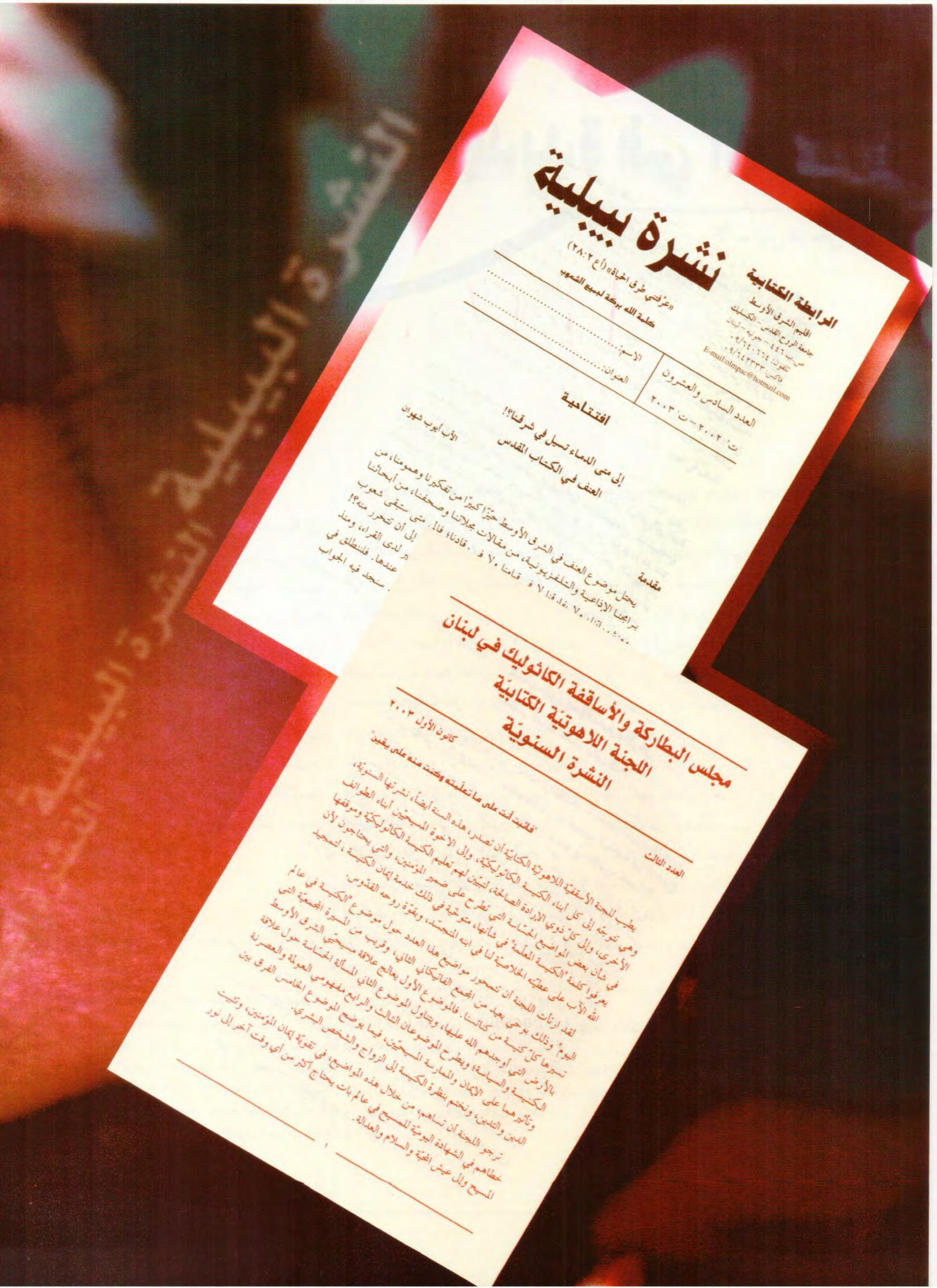
النشرة البيبلية
نشرة بيبلية
الرابطة الكتابية
اقليم الشرق الأوسط
جامعة الروح القدس - الكسليك
«عرّفتني طرق الحياة» (أع ٢:٢٨)
كلمة الله بركة لجميع الشعوب
الاسم:
العنوان:
العدد السادس والعشرون
E-mail:olmpac@hotmail.com
افتتاحية
إلى متى الدماء تسيل في شرقنا؟!
العنف في الكتاب المقدس
الأب أيوب شهوان
مقدمة
يحتل موضوع العنف في الشرق الأوسط حيّزاً كبيراً من تفكيرنا وهمومنا، من برامجنا الإذاعية والتلفزيونية، من مقالات مجلاتنا وصحفنا، من أبحاثنا
مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان
اللجنة اللاهوتيّة الكتابيّة
النشرة السنويّة
العدد الثالث
كانون الأول ٢٠٠٣
"فاثبت أنت على ما تعلّمته وكنت منه على يقين"
يطيب للجنة الأسقفيّة اللاهوتيّة الكتابيّة أن تصدر، هذه السنة أيضاً، نشرتها السنويّة، وهي تتوجّه إلى كل أبناء الكنيسة الكاثوليكيّة، وإلى الإخوة المسيحيين أبناء الطوائف الأخرى، وإلى كلّ ذوي الإرادة الصالحة، لتبيّن لهم تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة وموقفها في شأن بعض المواضيع المناسبة التي تطرح على ضمير المؤمنين، والتي يحتاجون لأن يعرفوا كلمة "الكنيسة المعلّمة" في شأنها، متوخيّة في ذلك خدمة إيمان الكنيسة، لتمجيد الله الآب على عطيّته الخلاصيّة لنا في ابنه المتجسّد، وبقوّة روحه القدوس.
لقد ارتأت اللجنة أن تتمحور مواضيع هذا العدد حول موضوع "الكنيسة في عالم اليوم" وذلك بوحي بعيد من المجمع الفاتيكاني الثاني، وقريب من المسيرة الجمعيّة التي تسيرها كلّ كنيسة من كنائسنا. فالموضوع الأول يعالج علاقة مسيحيّي الشرق الأوسط بالأرض التي أوجدهم الله عليها، ويتناول الموضوع الثاني المسألة المناسبة حول علاقة الكنيسة والسياسة؛ ويطرح الموضوعان الثالث والرابع مفهومي العولمة والعصرنة وتأثيرهما على الإيمان والممارسة المسيحيين، فيما يوضح الموضوع الخامس الفرق بين الدين والتديّن، ونختم بنظرة الكنيسة إلى الزواج والشخص البشري.
ترجو اللجنة أن تساهم، من خلال هذه المواضيع، في تقوية إيمان المؤمنين، وتثبيت خطاهم في الشهادة اليوميّة للمسيح في عالم بات يحتاج أكثر من أي وقت آخر إلى نور المسيح وإلى عيش المحبّة والسلام والعدالة.

الحياة الجديدة في المسيح[1]

أف ٤:١٧-٢٤

الأب إيلي طوبجي

مقدّمة

في هذه الراسلة العامّة المعنويّة إلى أهل أفسس، تطوّر الفكر البولسي حول الكنيسة بكونها جسد المسيح السري، والتي جمعت فيها الشعوب من يهود ووثنيين، كنيسة واحدة، جسد واحد، لرأس واحد. فبالإيمان يسكن يسوع المسيح في القلب، وعندما يتأصل كل مسيحي في محبة المسيح والإخوة، تكون له المعرفة الحقيقيّة، أي معرفة محبة المسيح (أف ٣:١٧ - ١٩)، فتتحقّق غاية الكنيسة بأن تصل حقيقة الى مقدار قامة المسيح (أف ٤:١٣).

شرح الآيات

تعوّدنا أن نلاحظ في رسائل مار بولس وجود قسمين: قسم أول لاهوتي وقسم ثان أدبي عملي. وفي هذا المقطع بالذات من الرسالة، يتحول بولس الرسول في كلامه من القسم اللاهوتي إلى القسم الأدبي.

يبدأ توجيهاته، بما في قلبه من عميق المحبة للرب وللاخوة، طالباً منهم ومستحلفاً إياهم بالرب، أي بأغلى وأعز من يؤمنون به، بأن لا يسيروا بعدما آمنوا بالمسيح مسيرة الوثنيين في حياتهم، الذين يعيشون بحسب ما يزيّن لهم عقلهم المنغمس في كل أمر باطل (آ ١٧). متوغلين إلى عمق الرذائل، وقد أظلم فكرهم وعميت بصيرتهم، حتى تصلّب قلبهم وقسى، ففقدوا كل إنسانية، فلأجل ذلك إنهم يعيشون في ظلام وفي جهل مطبق، لا يعرفون الحياة الحقيقية التي تكون من الإيمان بالله ومخافته (آ ١٨). ولقد أدّى بهم عقلهم الفاسد هذا إلى سلوك كل مسلك مشين في سلوكهم الأدبي؛ وإذ فقدوا حتى الحسّ الإنساني المزروع في ضمير كل إنسان بالفطرة لأنه على صورة الله خُلق، انغمسوا في العهر، وارتكبوا الفاحشات وكل النجاسات التي نهت عنها شريعة الله؛ وليس هذا وحسب، إنما زادوا على ذلك ممارستها بإقبال وجشع، حتى إنهم لا يكتفون مهما فحشوا، ودون حياء (آ ١٩). ولقد أوضح مار بولس فكره عن أفعال الوثنيين بشكل مفصل، ما أوجزه هنا في هذه الآيات الثلاثة، في رسالته إلى أهل روما (١:١٨ - ٣٢)[2].

١- **الكتاب المقدس، العهد الجديد**، كلية اللاهوت الحبرية، جامعة الروح القدس - الكسليك، لبنان ١٩٩٢.

٢- «... إنهم يجعلون الحق أسيراً للظلم،... لأنهم عرفوا الله و لم يمجدوه... بل تاهوا في آرائهم الباطلة فأظلمت قلوبهم الغبية... استبدلوا بمجد الله الخالد صوراً تمثل الإنسان الزائل والطيور والزحّافات. ولذلك أسلمهم الله بشهوات قلوبهم إلى الدعارة،... أسلمهم إلى الأهواء الشائنة، فاستبدلت إناثهم بالوصال الطبيعي الوصال المخالف للطبيعة، وكذلك الذكران... فنالوا في أنفسهم الجزاء الحق لضلالتهم. مُلئوا من أنواع الظلم والخبث والطمع والشر.. الحسد والتقتيل والخصام والمكر والفساد... نمّامون مفترون... شتّامون متكبّرون صلفون، متفنون بالشر، عاصون لوالديهم، لا فهم ولا وفاء ولا ودّ ولا رحمة. ومع أنهم يعرفون قضاء الله بأن الذين يعملون مثل هذه الأعمال يستوجبون الموت، فهم لا يفعلونها فحسب، بل يرضون عن الذين يعملونها" (**العهد الجديد**، دار المشرق، بيروت ١٩٨٩)

أما المسيحيون الذين بشّرهم التلاميذ والرسل بالمسيح، وعلّمهم الوعّاظ الأولون، فأخذوا منهم التعليم الديني وآمنوا بالمسيح، فإنهم يعرفون كيف يكون السلوك الأدبي المسيحي(آ ٢٠). هذا إن كانوا قد أخذوا تعليماً صحيحاً وموافقاً لشخص يسوع المسيح: تعاليمه وأعماله وموته وقيامته؛ فقد وُجد معلّمون لا توافق تعاليمهم الحقيقة التي في يسوع؛ ولا ننسى هنا أن هذه الرسالة موجّهة إلى مسيحيي آسيا الصغرى، حيث تفشّت بالأخص في تلك الكنائس، تعاليم غنوصية عن يسوع، متأثرة بالفلسفة اليونانية تنفي عنه قدرته كمخلّص للعالم (آ ٢١).

فإذا كان ما تعلّمه أولئك المسيحيون عن المسيح صحيحاً، عليه أن يتمظهر في سلوكهم. فمن الحتمي أنهم تركوا «الانسان القديم»، أي تركوا سيرتهم الأولى عندما كانوا وثنيين، وتركوا معها انسياقهم الى الشهوات الخدّاعة، والغرور والتكبّر، وادّعاء الحكمة، وكل ما ذُكر أعلاه من أمور شائنة تنبع من عقل فاسد (آ ٢٢). هذا العقل الذي أصبح يفكّر بأسلوب جديد بعد إيمانه بالمسيح الربّ، لأنه ساعة العماد نال المسيحي الروح القدس، هذا الروح الذي جدّد ذاك روح الله (آ٢٣). وتجدّد كل ما في الانسان، وليس العقل فقط، فأعيدت للمسيحي إنسانيته التي أرادها الله منذ البدء عندما خلق الإنسان على صورته، فالمسيحي (المسيحيون) إنسان تجذّر في أعمال البرّ، وتنقّى عقله، فآمن وعرف الحق الذي ظهر في المسيح يسوع ابن الله، لأنه في العماد لبس «الانسان الجديد»، فتحوّل كله إلى انسان تتجلّى فيه حقيقة قداسة المسيح (آ ٢٤).

التفسير

ابتعد الانسان بالخطيئة عن الله خالقه، وبالتالي ابتعد عن الحياة الحقيقية التي خلق أصلاً ليحياها مع الله بعد أن زيّنه بكل ما يؤهله ليكون سيّد الخليقة من عقل وإرادة حرّة، وفضّل أن يعيش بحسب ما اعتقد أن فيه سعادته (تك ٣ - ١١)، فكانت النتيجة أن أظلم عقله، إذ لم يعد يسير بضوء ما أراده له الله منذ البدء، وتصلّب قلبه بابتعاده عن الصلاح الفطري المزروع في ضميره، فغدت أعماله أدنى مستوى حتى من باقي المخلوقات بأعماله البهيمية التي لا ترضى عنها حتى الطبيعة؛ هذا ما يعكسه تاريخ الانسانية التي اتّبعت طريقاً لا مكان فيه للخالق وشرائعه (حك ١٣ - ١٤).

أما المسيحيون من أصل وثني، وبعد تنشئتهم وتعليمهم التعليم الصحيح الذي لا تُداخله تعاليم خاطئة عن يسوع المسيح، فقد تعلّموا كيف تكون الحياة لمن يؤمن بيسوع المسيح رباً ومخلّصاً ليؤهلوا ويوسموا بسر العماد المقدّس، مخلعوا مرة وللأبد «الإنسان القديم»، إنسان الخطيئة، إنسان الأخلاق الفاسدة والذي كان يعيش حياة دون معنى، ومعه تحرّر من أعمال ذلك الانسان المائت، آدم «القديم» وكل خطاياه.

فالمسيحيون الذين انخرطوا في حياة المسيح، لبسوا «الانسان الجديد». وعندما نقول «إنسان جديد»، لا نعني أنه انسان «آخر»، وإلا لما كان مخلّصاً، بل انه الانسان نفسه وقد «تجدّد»، أي أصبح جديداً، أو بالأحرى قد جُدّد بنعمة من الربّ.

وهذا التجدّد لا يأتي من فعل قوانين الطبيعة وكأنه يحدث بشكل حتمي، بل هو تجدّد يتطوّر على منهج معيّن واضح؛ إنه يتمّ بالمعرفة العميقة واختبار الحقائق الإلهية... هذه «المعرفة» السامية تبدأ بالعودة إلى البداية، إلى خلق الانسان، ففي المسيحي أُعيدت للإنسان «صورة الله». والمسيحي الذي نبذ الحياة القديمة، وقبل الحياة الجديدة، عليه أن يترك نفسه يتشكّل بطواعية كـ«أيقونة»، صورة ومثال حقيقي عن سيده وربّه، والذي هو الحكمة الإلهية، والمعرفة اللامتناهية، وقد أشرك بها خليقته المحبوبة. فبالنسبة إلى الإنسان المُخلَّص، هذه هي المعرفة التي تُغيّر، والتي تتمّ في قلب الإنسان بشكل لا يمكن وصفه[٣].

3- Tommaso FEDERICO, *"Resuscitò Cristo", Commento alle Letture bibliche della divina liturgia bizantina, Eparchia di Piana degli albancsi, Palermo* 1996, p. 757

قاعدة للحياة الروحيّة

لكي تُبنى كنيسة المسيح حقاً، رأى مار بولس في مسيحيي آسيا الصغرى مسيرة أدبيّة وروحيّة لا تليق بالمسيحيين الذين تجدّدوا بسر العماد، الحياة التي اختبروها عندما كانوا وثنيين – والتي ما زال الوثنيون يعيشونها – بعيدين عن الله «بظلام تفكيرهم وجهلهم وتصلب قلبهم»، هذه كلها لا يجب أن تُرى بعدُ في مسلك من عرفوا حقيقة الرب يسوع المسيح وتجدّدوا بالروح.

فإن حياة المسيحي لا معنى لها إلا إذا كانت في المسيح: لذلك إن مسيحي أفسس (ومعهم المسيحيون كافة) مدعوون لعيش الحياة الجديدة، ليس فقط الروحية وإنما الأدبية أيضاً. وفي الواقع، إن هذه المتطلبات الأدبيّة تنبع، بالنسبة الى مار بولس، من «واقع حالة النعمة فوق الطبيعية» التي أصبح المؤمن عليها والتي تبنيه، ولقد مثّلها بالخليقة الجديدة.

فحياة المسيحي الأدبيّة هي ثمرة حضور المسيح في حياته، والذي يصبح ليس مثالاً لنوعية وجوده فقط، بل بالأخص نبع للقوة والنعمة في قلبه[4].

الخاتمة

ما أحوجَنّا اليوم لهذا التعليم. لقد عادت الوثنية بفظائعها لتقود ضمائر الأفراد والمجتمعات. وحتى المسيحيون، لم يعودوا يعرفون المسيح والحقيقة التي فيه، فهم إما يسمعون تعاليماً مغايرة عن الحقيقة التي في المسيح، وإما أنهم لا يفهمون ولا يهتمّون ولا يريدون للروح أن يكمّل مسيرة تجديدهم ليكونوا على صورة الله بعدما اقتبلوا سرّ المعموديّة ووُسِموا به، فيعيشون عيشة الوثنية المعاصرة والتي تنفث في أجواء العالم دعاياتها المغرية.

فليتنبّه المسيحي وليتذكّر أينما وُجد وفي أي ظرف كان، أنه بعماده نبذ «الإنسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور»، ولبس «الإنسان الجديد الذي خُلق على صورة الله»، ولو أنه لم يكن يعي معنى عماده الذي اقتبله صغيراً، فهذا ليس سبباً ليعيش الوثنية الموجودة اليوم. فلينتبه إلى نوعية تطوّر مسيرة حياته الروحية التي تتم فيه حتماً. فإن لم يسلّم ذاته لعمل الروح القدس الذي يكوّن فيه صورة المسيح التي فقدها الإنسان بخطيئته، ويرفضه عن وعي أو غير وعي منه، ولا يمشي معه مسيرة الحياة لتتكوّن فيه على مهل صورة الله ومثاله، فهو يسلّم ذاته الى روح آخر يكوّنه. فلأي روح سلم ذاته، وعلى أية صورة يتكوّن؟ (رو ١٢:١١-١٧). يا لبشاعة مسيحي عرف المسيح ونبذه... وأية كنيسة ستتكون من مسيحيين كهؤلاء؟ إنهم أنصاف أو أرباع مسيحيين!، أيمكن للمسيح أن يكون مسخاً؟ (رو ٦:١٤-١٣).

إن قبولنا للمسيح في حياتنا، لهو رسالة ونعمة وكنز نحافظ عليه، ولقد حافظ عليه أجدادنا وآباؤنا المسيحيون في هذا الشرق، منهم بالاستشهاد، ومنهم بترك الدنيا ومغرياتها في التكرّس والرهبنة، ومنهم بسيرتهم الصالحة كعلمانيين رتّبوا حياتهم ليبقوا أمينين للمسيح وكنيسته في هذا العالم. فمهما قست الظروف، لم يفقدوا عزيمتهم ورغبتهم في المُضي خلف المسيح ليكونوا على صورته ومثاله! واليوم أيضاً لم تتغيّر ظروف الحياة المعاكسة للمثال المسيحي الذي يجب أن يُعاش، فماذا نفعل نحن مسيحيو شرق اليوم المنتظر تجلّي أبناء النور؟

عن هذا قال ربّنا: «أنتم ملح الأرض، فإن تفه الملح فبِمَ يُعاد ملحاً؟ لا يصلح لشيء، فيطرح خارجاً، ويدوسُه الناس» (متّى ٥:١٣).

4- S. CIPRIANI, *L'esperienza spirituale negli scritti di tradizione paolina e guideo-cristiana*, Storia della spritualità II, *La spiritualità del NI*, EDB, Bologna 1988, pp. 264-265

أفرام السرياني والرسالة إلى أفسس

الخوري بولس الفغالي

«بولس رسول يسوع المسيح بمشيئة الله، لأنّه أراد دخول الأمم، إلى القدّيسين والمؤمنين أي المعمَّدين الموعوظين. نعمة لكم وسلام من الله الآب والرب يسوع المسيح. لا بواسطة ربّنا يسوع المسيح. مبارك أبونا، أبو ربّنا، أبونا، لأنّه سُمّي بالنعمة، فدعانا إلى التبنّي. في الحقيقة، هو أبو ربّنا، لا بالتبنّي. بالطبيعة لا بالنعمة. بهذا الذي قال هنا أبو ربّنا دلّ على التمييز بين الابن والبشر. فحيث قال أبو ربّنا دلّ أنّه يقول عن الابن. ولكن حيث كتب اله ربّنا بيّن أنّ الكلام عن الناسوت. هو باركنا لا ببركة الشريعة الأرضيّة، بل بكلّ بركة الروح، في السماوات، في المسيح. كما نظر مسبقًا في مشورته، فاختارنا إلى هذا قبل العالم لنكون قدّيسين بالمعموديّة، وأنقياء بالمحبّة، بلا شكّ، وليس فقط حسب برّ حياتنا. نظر مسبقًا فاختارنا بواسطة أسرار الأنبياء، وجعلنا منذ ذلك الوقت في التبنّي، في المسيح، حسب رضى مشيئته ليصنع هذا فينا. لكي يتمجّد في الجميع، أي لكي يرتفع من الجميع مديحُ النعمة بواسطة ابنه، رحمةً بنا. به لنا هذا الفداء والرجاء اللذان أدركناهما بدمه. قبلنا غفران الخطايا لا بالنظر إلى أعمالنا، بل بحسب غنى نعمته التي فاضت فينا. أي اغتنينا في كلّ حكمة وعلم. بيّن لنا بالحكمة سرّ مشيئته. سبق وأخفى سرّ تدبيره الذي يجب أن يُكشَف. فيتحقّق في ملء الأزمنة كلُّ شيء، في السماوات وما في الأرض، فيه. أي النيّرات التي تجدّدت في عقلنا وفي فكرنا وشعّت، لأنّها خلائق لا آلهة. ويتوضّح لنا أنّ الأصنام التي على الأرض، هي صنع الأيدي لا خالقة. في التجديد تجدّدت لنا الصنائع، لا في ذاتها، بل في معرفة طبيعتها الحقيقيّة.

في هذه المشورة عينها دُعِينا واصطُفِينا فيه، لأنّ الله هيّأ الجميع لخدمة مرضاته، فيتمّ قصدُ مشيئة الله، لكي نكون أكثر من كلّ جيل سبقنا، في مدح مجده. نحن أي الذين رجوا المسيح من قبل. لأنّكم أنتم أيضًا سمعتم بواسطة يسوع كلمة الحقّ. فهو وعدُ الحياة، وبه تحوّلتم عن الأصنام كلّها، وآمنتم بالروح القدس الذي بُشّرتم به عبر المياه. وهذا الذي صُنع هو عربون ميراثكم الحقيقيّ، الذي قبلتموه في فداءِ اقتنَيتموه، أي في الفداء الآتي، في جمع الأمم، في يوم مجيء ربّنا. لكي يكون هذا لمدح مجده، أي في مجد وحيه.

لذلك أيضًا، إذْ سمعتُ أنا بإيمانكم الذي في الربّ يسوع ومحبّتكم لخدّام ربّنا، ما توقّفتُ عن الشكر لأجلكم، وأذكركم دومًا في صلواتي، لكي يؤتيكم إله ربّنا يسوع المسيح، أبو المجد روح الحكمة. فهو بابنه سبب هذه البركات التي رفضها اليوم الأمم الذين تلفّظوا بالتجديف بدل المديح. ليعطيكم أبو المجد روح العلم والوحي. أي لتعرفوه بواسطة وحي حكمة الروح.

وينير عيون قلبكم لتعلموا عظمة رجاء دعوتكم وما غنى مجد ميراثه الذي أعدّ لخدمة القدّيسين. وفوق هذا عظمة قوّته لكم المؤمنين أي في اهتدائكم وفي أعمال الروح الذي فيكم أنتم المؤمنين وهذه الأعمال تمّت بحسب قوّة سلطانه.

فهو الذي جعل المسيح ينتصر، وأحيا كلّ الاقطار، وأقام ابنه من بين الأموات. وهو الذي قلنا عنه من قبل إنّه إله ربّنا يسوع بسبب البشريّة. وقال أيضًا: أقامه من بين الأموات، وجعله يجلس عن يمينه في السماوات فوق كلّ رئاسة وسلطان. هذا ما قال عنه. وقال أيضًا بسبب البشريّة: أخضَعَ كلّ شيء تحت قدميه وجعله رأسًا فوق كلّ شيء وفوق الكنيسة التي هي جسده وملؤه الذي يكمل الجميع في كلّ شيء. وكما أخفى جسدنا فيه، صارت الكنيسة في النهاية، جسد جسده. هكذا اكتمل كلّ شيء بذاك الذي يُكمل كلّ شيء.

وأنتم الذين كنتم في الماضي أمواتًا بخطايا سيرتكم حسب مشيئة رئيس قوّات الهواء، والروح لأنّه بلا شكّ رئيس فوق الهواء ليتقبّل منه شبه الشكل المنظور، وهو رئيسٌ فوق روح النجاسة. هو الذي سيطر على لاإيمان الأبناء، الذين ما أرادوا أن يؤمنوا بالإنجيل، ونحن أيضًا سرنا في رغبات بشريّتنا صَنَعْنا لا مشيئةَ اللّه، بل مشيئةَ فكرنا وبشريّتنا وصرنا بالطبيعة أبناءَ الغضب مثل الآخرين الذين ثبتوا إلى اليوم في اللاإيمان. حصرنا الرسول كلنا وهو أيضًا، لئلاّ يُحرم من النعمة التي تُمنح، لا للجميع، بل للذين يؤمنون ويعتمدون. غير أنّ اللّه بسبب غناه الأكيد والمحبّة التي بها أحبّنا، رحمنا وتحنّن علينا. وإذْ كنّا أمواتًا بخطايانا، أحيانا بالمعموديّة في المسيح، وخلّصَنا بنعمته، نحن خُلِّصنا مجانًا. وأقامنا معه بالوعد، قبل أن نسقط. وأجلسنا معه في السماوات. أي أكرمنا ومجّدنا في بشريّته التي أجلسها في السماوات. لكي يمنح في الأجيال الآتية، في قيامته، وفر غنى نعمته الذي كان بالمسيح من أجل جيلنا هذا. بنعمته دعيتم. بالإيمان دُعيتم. وهذا لَم يكن منكم ولا من أعمالكم، بل هو هبة من اللّه. لئلاّ يفتخر أحد بأعماله، بل بالنعمة التي هي رحمته. نحن صُنْعُه، خُلِقنا من جديد بربّنا يسوع المسيح في الأعمال الصالحة. فهو اختارنا من قبل وأعدّنا كي نسير فيها.

لذلك فأنتم تذكّروا أنكم كنتم من قبل أممًا، في البشريّة، لأنّكم صنعتم الأعمال البشريّة وكنتم تدعون غُلفًا (فتميّزتم) عن هؤلاء العبرانيّين المختونين. وكنتم أيضًا في ذلك الزمن بدون مسيح مع أنّكم خدمتم دعوة المسيح، وكنتم غرباء عن جماعة بيت إسرائيل، أي بعيدين عن ممارسة وصايا الشريعة. كنتم غرباء، لا عن الوعد، بل عن عهد الوعد. وما كان لكم رجاء آخر، لأنّكم جهلتم الوعد وسرتم في العالم بدون اللّه وما عرفتم الإله الحقّ. أما الآن وقد صرتم للمسيح بإيمانكم. كنتم بعيدين عنه، فصرتم قريبين منه بدمه الذي تقبّلتموه. فهو سلامنا أي هو جعل السلام بين العبرانيّين والأمم. جعل الفئتين عهدًا واحدًا، وألغى في بشريّته حائط العداوة المتوسّط أي جَهالة الأصنام التي سيطرت على الجميع وما سمحت لعقل البشر أن ينتقل إلى السماوات. وأزال شريعة الوصايا الأرضيّة بفرائضه الروحيّة. ليكوّن الإثنين في ذاته، أي الأمم والعبرانيين، في إنسانٍ واحدٍ جديد، صانعًا السلام.

وصالح الإثنين في جسد واحد، لأنّه قُتل عن الإثنين، وبصليبه قتل العداوة، أي أزال العداوة التي بيننا وبين اللّه وسحقها. وجاء فبشّركم بالسّلام. بشّر الأمم أي البعيدين، والعبرانيّين القريبين. لأنّ لنا به الدخول: أخجلونا وفصلونا عنهم بسبب شريعتهم. أما الآن، فصار لنا الدخول في روحٍ واحدٍ إلى أبي الكون. أي بالروح الذي تقبّلناه في المعموديّة. وهكذا لن يكون فيه من بعد يهوديّ وأُممِيّ. لأنّ المسيح هو الكلّ في الكلّ. إذن، لستم غرباء عن وعد العهد، ولستم بعيدين عن الميراث المعدّ ليعطى لكم، بل أنتم مواطنو القدّيسين وأهل بيت اللّه بُنيتم على أساس (أو كرازة) الأنبياء والرسل. ويسوع المسيح هو رأس الزاوية أي أكليلها وختم التعليم الروحيّ. وفيه يتثبّت كلّ بناء الكنيسة ويتكيّف وينمو في بناء هيكل مقدّس، على شبه الهيكل المقدّس في مسكن اللاهوت. فأنتم قد بُنيتم مع هذه الكنيسة لكي تكونوا مسكن اللاهوت بالروح القدس.

Hady Mahfouz, *La fonction littéraire et théologique de Lc 3, 1-20 dans Luc-Actes,* Université Saint-Esprit de Kaslik, Liban, 2003, 486pp.

الوظيفة الأدبيّة واللاهوتيّة كما في لو ٣: ١ – ٢٠، في إنجيل لوقا وفي سفر الأعمال.

قرأ الأب هادي محفوظ هذا المقطع من إنجيل لوقا (٣: ١ – ٢٠)، فاكتشف فيه خدمة النبيّ السابق، يوحنّا. هي أولى الخدم التي يرويها مؤلّف (لو+أع) لوقا في إطار نبويّ واضح. إنّ مضمون خدمة يوحنّا يستعيد، بشكل متناسق، السمات الرئيسيّة في فكر لوقا وأسلوبه، كما عُرفت في خدمة يسوع وخدمة الرسل. فيوحنّا، الشخص الرئيسيّ في لو ٣: ١ – ٢٠، يُجعل في موازاة مع يسوع ومع الرسل. ثمّ إنّ هذا المقطع اللوقاويّ يُوجز، عند لوقا، استعمال العهد القديم ويستبقه. في كلّ هذا، نحن أمام مخطّط الله الخلاصيّ، مع تشديد على مركزيّة الله والمسيح. فالله يواصل تقديم الخلاص، ويحقّق مخطّطه عبر مرسليه، عبر مرسله الذي هو يسوع ابنه.

ذاك هو ملخّص الكتاب كما قدّمه كاتبه الأب هادي، وكما نشرته جامعة الروح القدس، مشكورةً، مع دراسات دكتوراه أخرى. أما التصميم فجاء في ثلاثة أقسام: القسم الأوّل (ف ١ – ٢) يقدّم للموضوع، جاعلاً القارئ في المكان الذي وصلت إليه الدراسة في أيّامنا: قراءة سنكرونيّة، إجماليّة، للوقا. ثمّ المواضيع اللوقاويّة. بعد ذلك، كلام عن النهج وبنيته (٣: ١ – ٢٠). ويحلّل القسمُ الثاني (ف ٣ – ٦) نصّ لوقا: بداية خدمة يوحنّا ونهايتها. نواة خدمة يوحنّا مع مقابلة مع إيليّا النبيّ وكلام عن غفران الخطايا. وينتهي هذا القسم بكلام عن التعليم وموقف السامعين. وكان عنوان الفصل السادس إنجيل الأقوى الآتي: هو الديّان الذي يجيء قريبًا لكي يعزّي ويحمل البشارة. وعرض القسم الثالث من هذه الأطروحة الذي قدّمها الأب هادي في سنة ٢٠٠٣ في فصلين أخيرين، اعتبارات عامّة تنطلق من لو ٣: ١ – ٢٠، ثم استعمال العهد القديم في إنجيل لوقا. وينتهي الكتاب بفهرس واسع يشير إلى النصوص الكتابيّة في العهدين. ثمّ بلائحة بالمراجع.

في الختام، يمكننا أن نهنّئ صاحبَ الأطروحة لأنّه أسرع في طباعتها، ولَم يتركها تنام بحيث تسبقه الأبحاث. ونستخلص أنّ قراءة لو ١ – ٢ تكثّف المعطيات الأساسيّة في لو+أع. فكأنّي بهذين الفصلين يقدّمان لنا الفكر اللاهوتيّ في إنجيل لوقا، الذي ينطلق من الهيكل مع زكريّا وذبيحته، وينتهي في الهيكل، حيث جاء الرسل «يباركون الله» (لو ٢٤: ٥٢) بعد صعود الربّ إلى السماء. والبركة التي لَم يستطع زكريّا الكاهن أن يمنحها للحاضرين، بسبب بكمه، سوف يقوم بها يسوع حين «رفع يديه وباركهم» (آ ٥١). أجل، انتهت الأخبار التي وردت في العهد القديم، وها نحن نرافق يوحنّا، بانتظار أن نصل إلى يسوع وإلى الرسل.

الخوري بولس الفغالي

عظات في الرسالة إلى أفسس

يوحنّا الذهبيّ الفم (٣٤٤-٤٠٧)

الخوري بولس الفغالي

نقرأ هنا أربعًا وعشرين عظة، قيلت في أنطاكيا، ذكرت القدّيس بابيلاس في العظة التاسعة والقدّيس يوليانس في ٢١: ٣، اللذين أحبّتهما أنطاكيا. في العظتين السادسة والثالثة عشرة، ذكر الذهبيّ الفم الأديرة في الجبال القريبة. مثل هذه الأديرة لعبت دورًا كبيرًا في حياته النسكيّة. وتلمّح العظة الحادية عشرة إلى انشقاق ميليتيوس. ونحن نتوقّف عند العظة الثالثة التي تشرح أف ١: ١٥-٢٠.

لا شيء يقابل أحشاء الرسول. لا شيء يشبه حنان الطوباوي بولس ومحبّته للبشر. فهو ما فتئ ينشر صلواته من أجل المدن والأمم. فكتب من أجل الكون كلّه: «أشكر اللّه لأجلكم، وأذكركم في صلواتي». نتخيّل عَدَدَ النفوس التي كانت حاضرة في فكره، وصعوبة التفكير فيهم. ومع ذلك، ذكرهم في صلواته وشكر اللّه لأجلهم جميعًا، كما لو أنّه هو الذي نال أعظم الحسنات.

قال: «لهذا»، أي بسبب الحياة الآتية والخيرات المحفوظة للذين لا يقلّ سلوكهم عن إيمانهم. إنّه لحقّ أن نشكر اللّه من أجل كلّ النعم التي منحها للطبيعة البشريّة، في الماضي وفي المستقبل. إنّه لحقّ أن نشكره على إيمان الذين يؤمنون. «سمعت بإيمانكم بالربّ يسوع، وبمحبّتكم لجميع القدّيسين». هو يضمّ، في كلّ موضع، الإيمانَ إلى المحبّة كفضيلتين عجيبتين وبهيّتين. لا يتكلّم عن سكّان أفسس وحدهم، بل يتكلّم عن جميع البشر بدون استثناء. «لا أزال أشكر اللّه لأجلكم، وأذكركم في صلواتي». ماذا تطلبون، وماذا تتمنّون؟ «أن يؤتيكم إلهُ ربّنا يسوع المسيح، إله المجد، روح الحكمة ونور الوحي». يريدهم أن يتعلّموا أمرين، بطريقة لائقة: ما هو هدف دعوتهم، وكيف نجوا من المعوقات السابقة. بل هناك ثلاثة أُمور في نظره. ماذا نقول، ثلاثة؟ هذا يكون إن نحن عرفنا المستقبل. فبالخيرات التي وُعدنا، ننال معرفة الغنى الإلهي الذي لا يُوصَف: بفهم ما كنّا عليه من اعتناقنا الإيمان، نعرف قدرته وسلطانه، لأنّه أعاد إلى شريعته أولئك الذين ابتعدوا عنها منذ زمن طويل.

«إنّ ضعف اللّه يتغلّب على كلّ قوّة البشر» (١ كور ١: ٢٥).

أعادنا إليه بفضل هذه القدرة التي بها أقام المسيح. وهي لا تنحصر في القيامة، بل تذهب إلى أبعد من ذلك. «أجلسه عن يمينه في السماوات...» (أف ١: ٢١-٢٣). في الحقيقة، أشركَنا في أسرار عظيمة وعميقة. لا يحقّ لأحد أن يعرف أكثر إلاّ إذا نال الروح القدس وجميع مواهب النعمة. وهذه العبارة التي يستعملها بولس: «أبو المجد» تذكّرنا بالخيرات الثمينة التي أغدقها الآب علينا. ذاك هو موضوع فكره عن اسم اللّه، فيقول: «أبو المراحم وإله كلّ تعزية» (٢ كور ١: ٣). ونقرأ أيضًا في النبي: «الربّ قوّتي وعوني» (مز ١٨: ٢-٣). «أبو المجد».

إذ لم يقدر أن يعبِّر عن مثل هذه الخيرات باسمها الخاص، ما زال يدلّ عليها بلفظ المجد. وهذا اللفظ يدلّ، بالنسبة إلينا، على كلّ ما هو عظيم وبهيّ. إذن، هذا هو أبو المجد، وإله

المسيح. ولكن هل الابن أدنى منه في المجد؟ حتّى المجنون لا يتجرأ أن يقول هذا. «ليُعطكم اللّه» أن تطبعوا في عقلكم أسخى اندفاع. لا نستطيع أن نعبّر عن هذا بطريقة أُخرى.

«فالإنسان الحيوانيّ لا يدرك الروحيّات، هي جهالة عنده» (١ كور ٢: ١٤). فإذا أراد الإنسان أن يفهم نظام الروح، أن يلج أسرار اللّه، عليه أن يمتلك الحكمة الروحيّة. فالروح الذي يكشف لنا كلّ شيء، يعرض علينا أسرار اللّه، فهو وحده يعرفها ويلج أعماقها. فما من ملاك ولا رئيس ملائكة ولا قوّة أُخرى مخلوقة تستطيع أن تمنحنا مثل هذه العطايا.

إن كان هذا وحيًا ساميًا، فلا فائدة من استنباط القرابين. فمن تدرّج في علم اللّه، وعرف اللّه حقًّا، لا يشعر بأي شكّ. هو لا يقول: هذا ليس بممكن. كيف يمكن أن يكون هذا؟ فإنّ سعينا للتعرّف إلى اللّه كما يجب أن يُعرَف، إن تعلّمنا من الذي يجب أن يعلّمنا، الروح القدس نفسه، لن تقف مثلُ هذه الشكوك أمامنا. لهذا تكلّم الرسول عن معرفة اللّه، هذه التي تنيرُ عيونَ قلبنا. حين نعرف مَن هو اللّه، لن نشكّ بمواعيده، ولا نرفض أن نؤمن بما قيل لنا عن الماضي. تاق بولس لكي يعطيهم روح الحكمة والوحي. فلجأ إلى كلّ البراهين التي في متناوله ليؤكّد أُموراً سبقت وتمّت. إذ أورد بعضًا من هذا الضعف، وأضاف أُخرى لم تتمّ، برهن على هذه بتلك. هكذا نفهم هذا القول:

«لتعلموا ما رجاءُ دعوته». هو ما زال خفيًّا، ولكن لا للمؤمنين. «ما هو غنى ومجد الميراث الذي وعد به القدّيسين»؟ ما زال أمرٌ مخفيًّا علينا. فما الذي أظهر لنا؟ بقدرته أقام المسيح. وإقناع النفوس، في العمق، أعجب من إقامة الموتى. كيف هذا؟ سأُحاول أن أفهمكم. اسمعوا. قال المسيح أمام جثة: «لعازر، تعالَ خارجًا» (يو ١١: ٤٣). فأطاع الميتُ حالاً. وقال بطرس لطابيتة: «قومي» (أع ٩: ٤٠). فما قاومت. وسيلفظ الربّ قولاً في اليوم الأخير، فيقوم جميعُ البشر بسرعة بحيث لا يسبق الأحياءُ الراقدين في القبور. في الحقيقة، كلّ شيء يتمّ في لحظة، في طرفة عين. وإن أردنا أن نعود بنفس إلى الايمان، لن يكون الأمرُ كذلك، فكيف إذن؟ هو نفسه سيقول لنا: «كم مرّة أرَدتُ أن أجمع بنيك، فما أردت» (لو ١٣: ٣٤)! هذا أصعب كما ترون. لهذا انطلق الرسول من هنا لكي يبرهن عن الكلّ. لا شكّ في أنّه أصعب علينا أن نؤثّر على حرّية الخيار ببراهين بشريّة، من أن نؤثّر على الطبيعة البشريّة. والسبب هو أنّ اللّه نفسه يتركنا أحرارًا حين نكون أمام فعل الخير. لهذا تحدّث بولس عن «عظمة قدرته بالنسبة إلينا نحن المؤمنين». ما ربح الأنبياء شيئًا، ولا الملائكة ولا رؤساء الملائكة، ولا الخليقة كلّها، المنظورة واللامنظورة. وإذْ رأى أنّها تعجز على أن تقودنا، أتى الربّ نفسه بتجسّده، فأرانا الحاجة إلى القدرة الإلهيّة. «غنى المجد». أي مجد يفوق كلّ إدراك. وأيّ لسان يستطيع أن يعبّر عن

هذا المجد الذي سيمتلكه، يومًا، القدّيسون؟ ما من لسان. فالنعمة جدّ ضروريّة لكي يكون لنا مفهوم، أو لكي نتقبّل أقلّ شعاع.

هناك أشياء ما كنّا نجهلها من قبل. ولكنّ اللّه أراد الآن أن يُعطي البشرَ دروسًا واسعة وعلمًا مستنيرًا. أُنظروا كلّ ما صنعه. أقام المسيح. هل هذا قليل؟ وأيضًا: أجلسه عن يمينه.

هل هناك بلاغة تقدر أن ترسم لنا من جديد مثل هذه الكرامة؟ كائن خرج من الأرض، صامتٌ مثل السمك، وأُلعوبة بين أيدي الشياطين، أصعده إلى أعلى السماوات. حقًّا هي رفيعة عظمة مجده! إتبعوا الإنسان بنظركم: جعله اللّه فوق كلّ طبيعة مخلوقة، فوق كلّ القوّات السماويّة، «فوق كلّ رئاسة». في الحقيقة، المعنى الروحيّ ضروريّ، وكذلك حكمة الفهم لننال مثل هذه المعرفة. ونور الوحي ليس أقلّ من ذلك. فكّروا كم تختلف طبيعة الإنسان عن طبيعة اللّه. فمن هذا الدنوّ نفسه رفعه إلى هذا العلوّ. لسنا هنا أمام درجة أو درجتين أو ثلاث، في هذا الصعود الجليل. ما هو مجرّد ارتفاع، بل هو ارتفاع فوق كلّ خليقة. فالقوّات السماويّة أدنى من اللّه دنوًا. ومع ذلك، أُنظر إلى أين رفع الإنسانَ، رفع واحدًا منّا، جعله يعبر من العبوديّة القصوى إلى المُلْك السامي، الذي بَعدَه لا كرامة ممكنة.

قال الرسول: »كلّ رئاسة وقوّة وسلطان وكلّ اسم يستحقّ أن يسمّى

صار بالإطلاق. أسمى من الكلّ. فإن كان في الأعالي السماويّة، فهذا يدلّ على الذي قام من بين الأموات، لا كلمة اللّه. فيا للعجب! فالذبابة بالنسبة إلى الإنسان، تقابل كلّ الخليقة بالنسبة إلى اللّه. وماذا أقول، ذبابة؟ هو لا يتحدّث هكذا عن كلمة اللّه، بل عن الذي هو واحد منّا. هذا عظيم حقًّا. هذا يملأنا دهشة. استخرجه من آخر أعماق الأرض. فإذا كانت كلّ الأُمم نقطة ماء، فأيّ جزء من هذه النقطة يمثّل الإنسان وحده؟ جعله فوق الجميع، في هذا الدهر وفي الدهر الآتي.

حسب هذا النصّ، هناك قوّة لم يُكشَف لنا اسمُها. فيظلّ مجهولاً... «جَعَلَ كلَّ شيء تحت قدميه». ما جعله فقط أسمى بحيث يكون مجدُه أعظم حين نقابله، أراد أن يخضع له الجميع مثل خدّام. يا لشيء عجيب رهيب! كلّ قوّة مخلوقة صارت خادمة الإنسان، بسبب كلمة اللّه الذي هو فيه. قد يكون هناك شخص رفيع لا يمارس ملكًا، وليس له تقدّم في الكرامة. ولكنّ الأمر هنا ليس هكذا. فالربّ جعل كلّ شيء تحت قدميه. أخضع له كلّ شيء.

وهذا الإخضاع كبير بحيث لا يوجد أعمق منه ولا أتمّ. ذاك هو معنى هذه العبارة: «تحت قدميه. وجعله رأس الكنيسة كلّها». أيّ مصير رفيع وهب لكنيسته! رفعها برافعة قويّة، وجعلها في علوّ لا يقابله علوّ، وأجلسها على العرش نفسه. أين يكون الرأس، هناك يكون الجسد. فلا فصل ممكنا. فلو وُجد فصل، لم نعد أمام جسد ولا أمام رأس.

قال الرسول: «فوق الكلّ». ما هو فكره هنا؟ إمّا أعلن ببساطة أنّ المسيح يسود جميع الكائنات المنظورة والعاقلة، وإمّا هو خير يتفوّق على كلّ خير، أن يكون المسيح هكذا رأسنا.

ما أعطانا اللّه ملاكًا ولا رئيس ملائكة، ولا روحًا آخر رفيعًا، رئيسًا. بل كائن له طبيعتنا. وأراد، ليكرّمه إكرامًا، أن يتّحد به نسلُه كلّه اتحادًا وثيقًا، ويتأثّر به تأثّرًا مباشرًا. «التي هي جسده». لا تظنّوا أنّ الرأس وحده هو هنا، أن ما يجب أن يسود حاضر. فهناك ما يكوّن القوّة والثبات، الجسد مع الرأس. «ملء مَن يكتمل في كلّ شيء». فكأنّ هذا لا يكفي للتعبير عمّا هو حميم في هذا الاتّحاد، أضاف أنّ الكنيسة هي كمال المسيح، ملء المسيح. فالجسد يكمّل الرأس، والرأس يكمّل الجسد. نلاحظ الطريق التي تبعها الرسول. ما أجملها عبارة تساعد على كشف مجد اللّه. وهذا الملء الذي يتكلّم عنه، هو ذاك الذي يضمّ الجسد إلى الرأس. يتكوّن الجسد من الأعضاء.

وهو بحاجة إليها كلّها. هكذا يحتاج المسيح إلى جميع المؤمنين إذا لم نكن عديدين بحيث يكون الواحد اليد، والآخر الرجل أو أيّ عضو، فلا وجود لجسد كامل حقًّا. كلّهم يشاركون في تكوين كامل الجسد السرّيّ. عندئذ يكتمل الرأس، ويصبح الجسدُ كاملاً لأنّنا كلّنا متّحدون وقد امتزجنا في المجموعة. أُنظروا الآن إلى غنى الميراث ومجده. أنظروا إلى عظمة قدرة اللّه الرفيعة في الذين يؤمنون. أُنظروا الرجاء الذي تعطينا دعوتنا. لنحترم رأسنا احترامًا ولنفهم أيّ رأس نحن جسده، وكيف يكون كلّ شيء في حالة خضوع. من هذا القبيل، يجب أن نكون أفضل من الملائكة، ومن رؤساء الملائكة أنفسهم. لأنّنا نمتلك كرامةً لا يقدرون أن يطمحوا إليها.

Tony Maalouf, *Arabs in the Sjadow of Israel. The Unfolding of God's Prophetic plan for Ishmael's Line*, Grand Rapids, 2003, 367 pages (ISBN 0-8254-3184-0)

قام الدكتور طوني معلوف، خرّيج معهد دالاس اللاهوتي في الولايات المتّحدة، وأستاذ الكتاب المقدّس في المعهد اللاهوتيّ للمعمدانيّين العرب في لبنان، بأبحاث جديدة عن هويّة "العرب" في الكتاب المقدّس، فيأتي هذا الكتاب تبلوّراً لتلك الأبحاث.

يحتوي الكتاب على مقدّمة عامة، أربعة أقسام وخاتمة، بالإضافة إلى حواشٍ مفصّلة تضمّ أكثر من مائة صفحة، لائحة مراجع وفهرس المواضيع والأسماء. يعرّف معلوف عن عمله أنّه "يدرس نسل إسماعيل العربيّ في تاريخ الكتاب المقدّس بتفاصيله، لكي يرسم المبادئ ويحدّد الوقائع التي قد تساعد على تهدئة التوتّرات المعاصرة" (ص ٣٧). يهدف معلوف إلى تقديم إسماعيل من "منظور مسيحيّ" وإلى "استرداده" (ص ٣٩) إلى مكانته في الكتاب المقدّس.

بعد ما أوجزَ تاريخَ العرب مركّزاً على علاقتهم باليهود، يعرض المؤلّف في المقدّمة نظرته الخاصّة إلى تاريخ الكتاب المقدّس. فيحدّد معلوف ثلاث مراحل زمنيّة لتاريخ البيبليا وهي مرحلة "نور إسرائيل" التي تمتدّ من دعوة إبراهيم إلى مُلك سليمان، ثمّ مرحلة "ظلام اسرائيل" من انشقاق المملكة إلى عتبة مجيء المسيح، وأخيراً مرحلة "نور المسيح" التي تغطّي زمن العهد الجديد (ص ٣٧-٣٩). ويتوقف القارئ هنا فيتساءل حول الأسباب التي قادت الكاتب إلى هذا التقسيم وهذه التسميات غير المعتادة في الكتب المتخصّصة.

يدمج الكتاب المقاربة البيبليّة اللاهوتيّة التي نجدها بالأخصّ في القسم الأول، مع المقاربة التاريخيّة التي توافق بين المعلومات الواردة في الكتاب المقدس والمصادر التاريخية الأخرى (مثلاً ص ١١٠-١١٢ و٢٠٦-٢١٢)، وأيضاً مع مقاربة الأديان المقارنة التي تدلّ إلى أهميّة القضايا المدروسة في دين الاسلام (مثلاً ص ٤٤-٤٩). ولكن القارئ يلاحظ غموضاً في ما يختصّ بالمناهج المعتمد عليها من أجل دمج هذه المقاربات المختلفة، فنجد أنّ "نسل إسماعيل" قد يعني تارةً قومَ العرب، وطوراً دينَ الاسلام، وأنّ عبارة "إسرائيل" أيضاً قد تدلّ مرّةً إلى يهود العهد القديم، وحيناً إلى الدولة الصهيونيّة الحديثة، وأنّ معلوف لا يميّز بين هذا وذاك، ولا يبدو أنّه يرى ضرورة هذا التمييز (انظر مثلاً ص ٣٧؛ ٢٢٢-٢٢٤؛ ١٠٦؛ ٣٦).

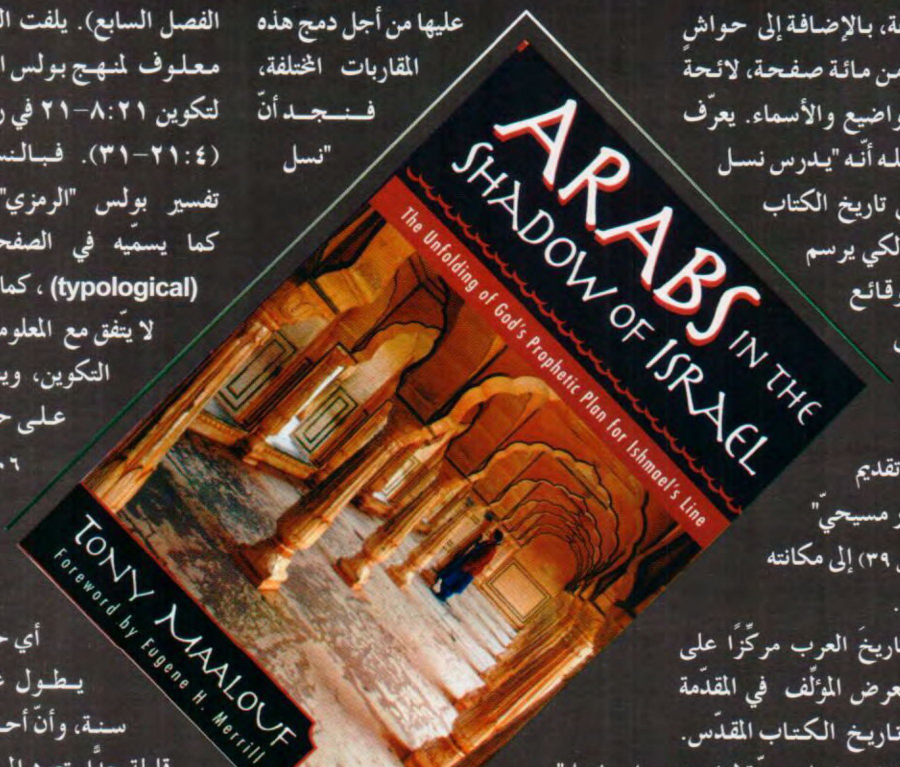

بين أبرز الآراء الواردة في الكتاب نجد وصف معلوف لسفر أيوب كمتجذّر في الثقافة العربيّة (انظر الفصل السادس)، واعتقاده بأنّ سجود المجوس كما يرويه الإنجيليّ متّى يؤكّد الجذور العربيّة لهؤلاء المجوس، ويدلّ إلى عودة أولاد إسماعيل إلى إيمان إبراهيم (ص ٢١٨). يرى معلوف أنّ الحكيمَين آجور ولموئيل المذكورَين في سفر الأمثال يحملان أيضاً جذوراً عربيّة (انظر الفصل السابع). يلفت النظر انتقاد الدكتور معلوف لمنهج بولس الرسول التفسيريّ لتكوين ٢١:٨-٢١ في رسالته إلى الغلاطيين (٤:٢١-٣١). فبالنسبة إلى معلوف تفسير بولس "الرمزي" (allegorical)، كما يسمّيه في الصفحة ٩٨، أو "النمطيّ" (typological)، كما في الصفحة ١٠٦، لا يتّفق مع المعلومات الواردة في نصّ التكوين، ويخدم فقط "للحفاظ على حقيقة الإنجيل" (ص ١٠٦)، كما يقول. يجدر الذكر أنّ القسم الأكبر من المراجع، أي حوالي الـ ٥٧٪، يطول عمره أكثر من ٢٠ سنة، وأنّ أحدث المراجع، وهي قليلة جداً، تعود إلى السنة ١٩٩٧، أي ستّ سنوات قبل نشر الكتاب، مع أنّه في المقدّمة (ص ١٧، ١٩-٢٠، ٣٦) يوحي الدكتور معلوف بأنّه يعالج الموضوع بناءً على أحدث الدراسات.

أسلوب معلوف في الكتابة سلس ومنعش، وكتابه يغني القارئ بمعلومات هامّة حول مسألة معقّدة تحتاج إلى الكثير من الدراسات النقديّة الحديثة والأبحاث المتعدّدة الإختصاصات. لعلّ عمل معلوف يكون أحد الحوافز على هذه الأعمال في وطن أهل الضاد.

د. دانيال عيّوش

CED L'USEK

مركز النشر والتوزيع في جامعة الروح القدس - الكسليك

Centre d'Édition et de Diffusion du Livre à l'Université Saint-Esprit de Kaslik

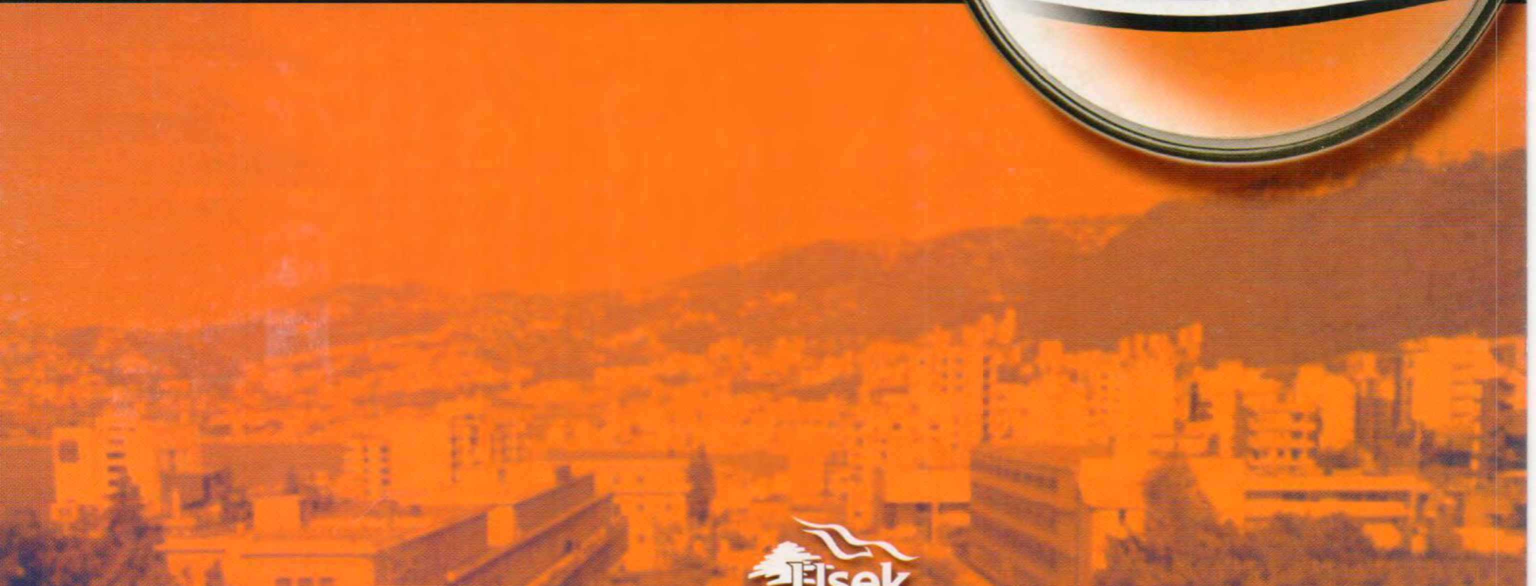

e-mail: cedlusek@usek.edu.lb